# ثورة بروكوبيوس ضد الإمبراطور فالنز
# دراسة تحليلية مفصلة لأحداثها الداخلية (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

**د/ سهير محمد مليجي علي**
**مدرس تاريخ عصور وسطي**
**كلية البنات جامعة عين شمس**

**الملخص**

تتناول هذه الدراسة ثورة بروكوبيوس Procopius ضد الإمبراطور فالنز Valens عام ٣٦٥م، متتبعة ما قام به بروكوبيوس من استغلال كل الظروف المناوئة لفالنز (انشغاله بحروب خارجية، وانخفاض شعبيته بين مواطنيه، بل وشراء ولاء قواده). كما تتبعت الدراسة القوي التي قدمت الدعم سواء أكانت داخلية أم خارجية، ومدى تأثيرها لصالح بروكوبيوس في تضخم قوته؛ حتي أنه نصب إمبراطورًا لعدة أشهر.

كما تطرقت الدراسة إلي مرحلة المواجهة بين الإمبراطور فالنز وبروكوبيوس، والتي رجحت الكفة لصالح فالنز، لقوة حاشيته التي دعمته علي المستوي النفسي والإداري في أشد حالات استسلامه، كالدور الذي قام به الجنرال أربيتيو في نزوح عدد كبير من قادة جيش بروكوبيوس وانضمامهم لصفوف جيش فالنز؛ مما أثر علي ميزان القوي لصالح فالنز. كما تناولت حرب بروكوبيوس الأخيرة حتي تم خيانته، وتقديمه لفالنز فانتهى الأمر بمقتله، وبيان معاقبة فالنز لكل من قدم الدعم لبروكوبيوس. علي سبيل المثال القوط

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد (٣٤) يناير ٢٠٢١، الجزء الثانى.

الغربيون الذين قدموا الدعم العسكري له بإرسال قوة حربية تتألف من ثلاثة ألاف مقاتل، هذا بالإضافة إلي الدعم المعنوي له بإقرارهم بحركته. ونؤكد أن أسباب تلك المساعدة هو رغبتهم في الحصول علي بعض التنازلات من الإمبراطورية الشرقية علي الحدود الرومانية في حال تولي بروكوبيوس حكمها.

**الكلمات الدالة:** **ثورة، بروكوبيوس، فالنز، فالنتينيان الأول، القسطنطينية، الرداء الأرجواني.**

## Abstract

*This study deals with the revolt of Procopius against Emperor Valens in the year 365 AD, tracing what Procopius did by exploiting all the adverse circumstances of Valens (his preoccupation with foreign wars, the decline of his popularity among his citizens, and even the purchase of the loyalty of his commanders). The study also traced the strength that provided support, whether internal or external, and the extent of its influence in favor of Procopius in the magnification of his power, until he was put as an emperor for several months.*

*The study also dealt with the stage of confrontation between the Emperor Valens and Procopius, which tilted the tide in favor of Valens, due to the strength of his entourage, which supported him at the psychological and administrative level in the most severe cases of his surrender, such as the role that General Arbitio played in the displacement of a large number of commanders of Procopius' army and their joining the ranks of the army of Valens, Impact on the balance of power in favor of Valens. It also dealt with the last war of Procopius until he was betrayed, presented to Valens, and ended up killing him, and a statement of Valens's punishment of everyone who had supported Procopius. For example, the Visigoths, who provided military support to him by sending a war force of three thousand fighters, in addition to the moral support for him by acknowledging his movement. We affirm that the reasons for this assistance were their desire to obtain some concessions from the Eastern Empire on the Roman borders in the event Procopius assumed its rule.*

***Key words:*** *Revolution, Procopius, Valens, Valentinian I, Constantinople, The Purple Robe.*

**مقدمة** :

الثورة في التعريف اللغوي تعني احتدام الموقف والقدرة علي المجابهة، وقد زخر التاريخ بين طياته بالعديد من الثورات علي المستوي السياسي أو الاجتماعي أو العقائدي، وحديثًا علي المستوي العلمي والتقني. والثورات وإن اختلفت أطيافها فإنها تتفق في مطلب واحد وهو رفضها للوضع القائم، ومحاولة تغييره أو طمسه بكل الوسائل الممكنة والمتاحة، وقد تتضافر عوامل عديدة لترسو تلك الثورات علي مرفأ النجاح أو تتلاطم أمواجها لتتحطم علي صخرة الفشل. وغالبًا ما يدعم تلك الثورات طائفة من المناصرين الذين يخامرهم نفس الأمل ويلتقون حول نفس الهدف، وهؤلاء الداعمين قد يمثلون الطرف الداخلي في المعادلة ويمثلهم الشعوب التي تكتوي بظلم الحاكم، أو يكون الداعم طرفًا خارجيًا له مصلحة في حركة التغيير لأهداف أبعد من هدف الثائرين. وأيًا كانت تلك الاتجاهات الداعمة فإن الثورات تنحو إلى تحريك المواقف الراكدة أو إلى التغيير الجذري، ويمكن إدراك ذلك من خلال نتائجها.

تعد ثورة بروكوبيوس ضد الإمبراطور فالنز من أبرز وأشد القلاقل الداخلية التي جابهت ذلك الإمبراطور عام ٣٦٥م، بل ولازمته طوال فترة حكمه للإمبراطورية البيزنطية، لما لاقته تلك الثورة في بدايتها من نجاح كبير.وقد كان لتلك الثورة أثرها الشاسع داخلياًوخارجياً بوجه خاص على الولايات التابعة للإمبراطورية الشرقية، وقد تناولت دراستنا الشق الداخلى لهذا التأثير بتركيز دائرة الضوء بصورة كبيرة على الأحداث الداخلية التى أشعلتها تلك الثورة، وكيف كانت على حافة النجاح والإطاحة بالنظام القديم، وعوامل فشلها داخلياً، وقد وجدت دراسة أخرى لدكتور ياسرمصطفى عبد الوهاب، وهى ثورة بروكوبيوس فى القسطنطينية ٣٦٥-٣٦٦م وأثارها على مصر، تناولت تأثير تلك الثورة على الجانب الخارجى مركزاً دائرة الضوء على هذا الجانب وخاصة أثرها على الولايات الأخرى وخاصة ولاية مصر التابعة للدولة البيزنطية

وقد تجمعت لها عدة عوامل كتبت لها ذلك التوفيق بداية، ومنها قرابة

بروكوبيوس – من ناحية الأم – بالإمبراطور جوليان المرتد (٣٦١ – ٣٦٣م)، واستمالت تلك الصلة عددًا كبيرًا من أطياف المجتمع الإمبراطوري والتي ينشد ولاؤها دومًا أصحاب الدم الملكي. كما استمالت تلك القرابة بعض عناصر البرابرة من القوط الغربيون Visigoths، إضافة لذلك، أن صلة بروكوبيوس بالإمبراطور جوليان قد استقطبت الكثير من العناصر العسكرية، فكانوا بمثابة الداعم العسكري لثورته. بيد أنه وجد عامل آخر مهد النجاح أمام حركة بروكوبيوس تمثل في تدني شعبية فالنز بسبب ضآلة خبرته في إدارة تلك الإمبراطورية الشاسعة، والتعامل بتعالٍ شديدٍ مع رعايا الإمبراطورية دون محاولة منه في التقرب من هذا الداعم الشعبي الذي يثبت قوائم عرشه، مما مكن بروكوبيوس من استغلال هذه النقطة لصالحه أيما استغلال.

وليتسنى لنا إدراك ملابسات تلك الثورة والوصول نحو نتائجها لابد من الوقوف على الظروف التي مهدت للإمبراطور فالنز من تولي سدة الحكم للإمبراطورية البيزنطية، كما لابد من التعرف على صفاته الشخصية التي ساعدت في اتساع تلك الثورة التي وجهت ضد سياسته. وهذا يدفعنا كذلك إلي تتبع بدايات بروكوبيوس السياسية، وعلاقاته بالأباطرة السابقين لفالنز، فقد كانت الدافع القوي لتكوينه السياسي، وهيكلة صورته بسمات خاصة سنلمحها من خلال حركته التمردية ضد فالنز.

كان فالنز [١] ضابطًا في جيش الإمبراطورية، وإن كان برتبة منخفضة (القائم علي الاصطبلات الملكية)، إلا أنه عقب وفاة الإمبراطور جوفيان Jovian [٢] (٢٨ يوليو ٣٦٣ – ١٧ فبراير ٣٦٤م) [3] تؤثر رياح المتغيرات السياسية علي مستقبل فالنز لتدفعه نحو الارتقاء. فعقب وقاة الإمبراطور اجتمعت كلمة قادة الكتائب على اختيار فالنتينيان الأول Valentinian I [٤] (٣٦٤ – ٣٧٥م) إمبراطورًا خلفًا لجوفيان، وفي السادس والعشرين من شهر فبراير ٣٦٤م [٥] يصير فالنتينيان إمبراطورًا للدولة الرومانية، ونظرًا لما كان يحيط مساحاتها الشاسعة من تهديدات تمس حدودها ارتأي فالنتينيان تنصيب

أخيه فالنز كشريك له في إدارة الإمبراطورية وحكمها في الثامن والعشرين من مارس عام ٣٦٤م ولم يمر سوى شهر علي تسلمه الحكم، وذلك ليتسنى له إحكام السيطرة علي الإمبراطورية مترامية الأطراف [٦]. ومن ثم قسمت الإمبراطورية بين الأخوين ليتولى فالنتينيان حكم أقاليمها الغربية، بينما يحكم فالنز الجانب الشرقي من الإمبراطورية (٣٦٤ – ٣٧٨م) طيلة أربعة عشر عامًا [٧]، ومن هنا بزغ نجمه السياسي ومهد له طريق الحكم.

علي أن السياسة القمعية والتعسفية التي انتهجها فالنز سببت له القلاقل والمتاعب الجمة، فلم يحظ بالاستقرار الذي ينشده كل من يجلس علي سدة الحكم، فقد كان يبطش بكل من يشك في ولائه الشخصي في تلك البقعة التي تقع تحت سلطته، ويبدو أن الأمر يرجع في كثير إلي تكوين فالنز النفسي. بيد أنه يبرز علي الساحة عامل آخر مَثَّلَ معول هدم لحكم فالنز تمثل في والد زوجته –ألبيادومنيكا Albiadomnica-المدعو بترونيوس Petronius [٨]، والذي مثل القبضة الموجهة نحو رعايا الإمبراطورية، وقد أثرت جملة من العوامل علي تلك الشخصية، فقد كان معدومًا من جمال الخِلقة، دميم الشكل والمظهر، مما كان له بالغ الأثر في مكونه السلوكي فاتسمت تصرفاته بطابع العنف، والتفنن في تعذيب كل من يوجه إليه إدانة سواء كان مذنبًا أو برئ منها. ومن هنا كرهته كل طوائف الشعب بكل فئاتها، ووصل بتعسفه أن طالب الأهالي بالديون المستحقة عليهم منذ عهد الإمبراطور أورليان (٢٧٠ – ٢٧٥م)، مضافًا إليها غرامات التأخير وتعويضاتها التي قد تصل إلي أربعة أضعاف أصل الدين [٩]. والجدير بالذكر أن تصرفات بترونيوس قد أثرت بالسلب على توجهات فالنز، فكراهية الشعب لبترونيوس استتبعت بغضهم لفالنز باعتبار أن بترونيوس مخلبه الموجه نحوهم، مما ساهم في إسقاط شعبية فالنز لدى العامة، بل وتدمير سياسته، ومن ثم قدمت تلك الأعمال – علي طبق من ذهب – الدافع الأساسي للحراك الثوري لبروكبيوس للقيام بثورته ضد فالنز.

على أن العوامل السابقة لم تكن وحدها المتسببة في شقوط شعبية فالنز

ونجاح ثورة بروكوبيوس في البداية، فقد انضم إليها عامل آخر هو اعتقاده القوي في أعمال الكهانة، وإيمانه الشديد بقدرات إحدى الكاهنات في قرءاة الطالع واستقراء الغيب، فقد أوعزت إليه تلك الكاهنة بأن هناك من سيثور ضد حكمه، هذا الشخص يبدأ اسمه بحرف ثيتا Theta (الحرف الثامن بالأبجدية اليونانية) [١٠]، وأن هذا الشخص سيقوم بثورة ضده ويحكم الإمبراطورية بدلًا عنه. فقام فالنز بإعدام العديد من الشخصيات التي يبدأ اسمهم بهذا الحرف[١١]. فأضيف لسياسته القمعية هوس بالشعوذة، وفي ذلك دلالة بينة علي قسوة فالنز، فلم يكن يرحم مطلقًا أثناء غضبه وكانت مقولته الشهيرة " من يرفع الغضب سريعًا يمكنه أن يضع العدالة جانبًا " [١٢]. ويمكن أن نعوّل بالقول بأن فالنز بعد فترة حكمه التي استمرت طيلة ثلاثة عشر عامًا وأربعة أشهر قد استحق تلك النهاية التي هلك بها.

ولعل السبب الرئيسي لتفلت الأمور من يد فالنز عدم امتلاكه للميزان المعنوي الذي يقيس به كل سياسي قراراته قبل خروجها لحيز التنفيذ، هذا الميزان الدقيق الذي يعد المرجع الأساسي لحساب كل كبيرة وصغيرة من الأوضاع السياسية ومعرفة تأثير قراراته علي المدي القريب والبعيد وعلي مجمل الاتجاهات[١٣]. ويرجع ذلك لخمول شخصية فالنز وعدم امتلاكه طموح من يبحث ويجاهد للإرتقاء، حيث وصل إلي سدة الحكم بطريقة مفاجئة وسريعة، وتعرضه – فضلًا عن القلاقل الداخلية – لمشاكل خارجية من جانب الفرس الذي نقضوا هدنتهم مع الإمبراطور جوفيان في يونيو عام ٣٦٣م [١٤]، وقاموا بالتوغل إلي بعض أقاليم الإمبراطورية واستولوا علي نصيبين، فلزم فالنز أمران، أولهما تهدئة الأحوال الداخلية، ثانيهما التقدم لصد الزحف الفارسي وإيقافه [١٥].

أما عن بروكوبيوس [١٦] الذي قاد حركة التمرد ضد فالنز، فكان ينحدر من أصول عظيمة وعائلة جذورها تمتد بصلة قرابة للإمبراطور جوليان المرتد من جهة الأم، تلك القرابة التي ساعدته في الارتقاء من منصب إلى منصب أعلى بدولة الإمبراطورية منذ عهد الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني

Constantius II (٣٣٧ – ٣٦١م) حيث شغل بروكوبيوس منصب سكرتير أو أمين سر [١٧]، ثم ارتقى إلي رتبة قائد فى الجيش وعزي ذلك لتميز خدماته أثناء الحروب التي خاضها مع جوليان، ثم أسندت إليه مهمة ترتيب الكونتات[١٨] وتوزيع اختصاصاتها، ومن هنا ازدادت قوته خطورة ليمثل شوكة قوية في حلق فالنز، ويكون مصدر إزعاج للسلام العام في الإمبراطورية الرومانية، نظرًا لطموح بروكوبيوس لارتقاء أعلى المناصب [١٩].

ولما انطلق الإمبراطور جوليان في حملته الفارسية ربيع عام ٣٦٣م [٢٠] أصدر لبروكوبيوس وزميله سيباستيانوس Sebastianus [٢١] تعليمات باصطفاف قواتهما على طول القطاع الشمالي لحدود بلاد ما بين النهرين، لتأمين جناح جيش الإمبراطور، بالإضافة إلى الانقضاض على الجيش الفارسي من الخلف متى سنحت الفرصة لذلك، وقد نجح بروكوبيوس في إتمام المهمة الموكلة إليه على أكمل وجه مدافعًا عن منطقة ما بين النهرين، ثم انضم بمن معه من الجنود إلي كتائب جيش الإمبراطور جوليان. وهنا استقبلهم بحفاوة بالغة نظرًا لنجاحهم الكبير فيما أوكل إليهم من مهام [٢٢]. فلما بوغت الجميع بمقتل الإمبراطور أثناء تلك الحملة، أسند إعلان هذا النبأ الخطير لكل من بروكوبيوس والتربيون ميموريديوس Memoridus اللذين أعلنا هذا الخبر في الليريكوم Illyricum [٢٣] وبلاد الغال Gaul، وهنا تم إعلان جوفيان إمبراطورًا للدولة[٢٤]. وقد كان بروكوبيوس من ضمن اللجنة المصاحبة لجثمان الإمبراطور جوليان، وقد صاحبهم في المسيرة نحو قيليقية بضواحي طرسوس في تلك المهمة الدقيقة الإمبراطور الجديد جوفيان [٢٥]، وذلك في أواخر عام ٣٦٣م [٢٦]. وقد أشارت إحدى الشواهد المصدرية إلى كون بروكوبيوس قاد جوليان إلي طرسوس قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة [٢٧]، مما سيشكل سير الأحداث اللاحقة.

- **بروز دور بروكوبيوس وبداية الثورة :-**

لم يكن للولاء الديني أية تأثيرات علي حراك الجنود نحو توجهاتهم في

إزاحة العروش وخاصة العرش الإمبراطوري أو اغتصاب السلطة في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي، فقد كان الطابع العام لجنود تلك الحقبة عدم الاكتراث بالدافع الديني كما كان للانتماء الديني من قبل من أهمية كبري في توجيه دفة الأحداث، وحلت المشاركة الشخصية للأباطرة مع قوادهم، وتوسيع دائرة النفوذ والسيطرة علي قطاعات الجيش بديلاً عنه، فهو العامل الأجدي والأهم لضمان ولاء الجنود الذين قد تعصف بهم رياح الأحداث نحو التمرد(٢٨). كما لا يمكننا الجزم بأن ثورة بروكوبيوس على الإمبراطور فالنز كانت ذات طابع ديني، وإنما كان محركها ودافعها طموح بروكوبيوس السياسي الذي لا يتوقف عند حد سوى الوثوب علي العرش الإمبراطوري(٢٩).

وهنا يبرز سؤال يطرح نفسه بقوة وهو ما الحيثيات القوية التي استند إليها بروكوبيوس في ثورته على فالنز، وما الأطروحات التي قدمها لمناصريه ليندفعوا وراء طموحاته ؟!! وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من سرد عدة وقائع تمثل نقاط الإجابة عن السؤال وعن الدوافع الحقيقية التي استند عليها بروكوبيوس للقيام بثورته، وتمثلت فيما يلي:

تمثل الدافع الأول في صلة القرابة التي كانت منعقدة بينه وبين الإمبراطور جوليان من جهة الأم، مما يدعم سلالة نسبه نحو الإمبراطور قنسطنطين، إضافة إلي اقترانه بزوجة تنتمي لذات السلالة مما جعله متفوقًا على خصمه، وجعله يستشعر أن دماءه أكثر ملكية من فالنز (٣٠).

أما الدافع الثاني فقد وجد زعم قوي بأن جوليان قد قام بترشيح بروكوبيوس ليخلفه على عرش الإمبراطورية قُبيل حملته على بلاد فارس في الوقت الذي اصطف فيه بروكوبيوس علي حدود بلاد ما بين النهرين لتأمينها ضد هجمات الفرس فأوصى جوليان قائلًا له: "لو استشعرت أن الجيوش الرومانية في بلاد فارس قد ضعفت أو أصابني مكروه أو أدركني الموت، فعليك باتخاذ كافة التدابير كي تعلن نفسك إمبراطورًا"(٣١). وقد أكد بعض الشهود أن الإمبراطور جوليان قد سمي اسم بركوبيوس وهو في النزع الأخير لافظًا آخر أنفاسه (٣٢).

وتتبادر نقطتان من خلال الإشارات السابقة وهما، أن جوليان قد صرح بطريقة غير مباشرة أن بروكوبيوس هو من سيخلفه علي عرش الإمبراطورية. كذلك أنه لم يقتصر أمر سماع تلك الوصية علي بروكوبيوس بل وجد شهود عيان آخرون قد استمعوا إلى ما أوصى به جوليان.

تمثل الدافع الثالث في أن بروكوبيوس حين توجه بصحبة سيباستيانوس من خلال أديابين Adiabene [٣٣] لتأمين بلاد ما بين النهرين، توجه بداية لمقابلة الإمبراطور جوليان قبيل اتجاهه لمهمته المنوط بها، وقبل اتخاذه الطريق المغاير لتحرك الإمبراطور، لكن ما يعنينا من الأمر كون جوليان قد منح الإذن لبروكوبيوس لارتداء الرداء الأرجواني الذي منحه إياه [٣٤] لسبب لم يعرفه أحد[٣٥]. إلا أن منح هذا الرداء لبروكوبيوس يعطي دلالة واضحة وإشارة صريحة لرغبة جوليان في أن يخلف بروكوبيوس علي عرش الإمبراطورية.

أما دافع بروكوبيوس الرابع تمثل في وصوله إلي يقين لا يتطرق إليه شك في تداعي ولاء الجنود نحو الإمبراطور فالنز، وتهاوى ذلك الولاء إلي الحضيض، ومن ثم سهل استقطابهم للانضمام إلي ثورته الناشئة [٣٦]. أضف إلي تلك العوامل، تدني شعبية فالنز بين جموع الشعب في القسطنطينية [٣٧].

ومهما كان لتلك الدوافع وجملة الأسباب من سمات القوة أو الضعف، نتوقف أمام حقيقة ماثلة هي أن " ثورة بروكوبيوس " قد قامت بالفعل. إلا أن ما يدعو للدهشة والعجب أن تلك الثورة لم توجه ضد جوفيان الذي تولي سدة الحكم عقب موت جوليان، وبحسب المؤشرات المؤطرة للأحداث فإن بروكوبيوس رأى في نفسه أنه أحق وأولى منه بالوصول إلي العرش بناءًا علي وصية جوليان كما سبق وادعى بروكوبيوس، مما يجرنا نحو تساؤل آخر هو لِمَ لَمْ يبادر بروكوبيوس بالإطاحة بجوفيان ليحل مكانه علي عرش الإمبراطورية ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من استقراء الأحداث التي سبقت ثورة بروكوبيوس، فبمجرد اعتلاء جوفيان سدة الحكم بادر بروكوبيوس بتسليم الرداء الأرجواني الإمبراطوري الذي سبق وتسلمه من جوليان إلى الإمبراطور الجديد

جوفيان، مقرًا له بأحقيته في عرش الإمبراطورية بذلك التصرف، ومعربًا له عن حسن نواياه [٣٨]، مما يوضح عدم وجود أدنى إشارة أو ظهور نية من قبل بروكوبيوس للتطلع لعرش الإمبراطورية، وإلا لاتخذ موقفًا مغايرًا أو عدائيًا من تولي جوفيان لمقاليد الأمور.

وربما تعود أسباب عدم نزوعه نحو التطلع للعرش، يعود إلي شخصية وزعامة جوفيان وصرامة قراراته خاصة عقب إعدام سَمِيَّه "جوفيان" السكرتير الرئيسي، ورئيس أمناء السر، والذي ارتأى المحيطون به أحقيته وجدارته بمنصب الإمبراطور، فهو الشخص المناسب لتولي العرش. فما كان من الإمبراطور جوفيان إلا أن أمر بالقبض عليه، وألقى به في بئر جاف، ثم ألقى فوقه كومة من الحجارة حتي لقى مصرعه[٣٩]. بيد أننا لا نستطيع أن نجزم بأن التخوف من بطش جوفيان هو السبب الحقيقي وراء عزوف بروكوبيوس عن الثورة علي جوفيان، بل نستطيع أن نبرر ذلك التوجه بالشعبية الكبيرة التي حظى بها جوفيان بين جنوده، بل هم من رفعوه ليرتقي سدة هذا العرش، فلو تبادر لذهن بروكوبيوس القيام بثورة ضده فلن يجد أي تأييد من الجنود بل سيلقى مقاومة ومصيرًا مظلمًا.

ويبدو أن الوضع كان منقلبًا بالنسبة لبروكوبيوس آنذاك، فهو الذي كان متخوفًا من أن ينقلب عليه جوفيان إذا ما تبادر لعلمه ما كان من رغبة الإمبراطور الراحل جوليان في تولية بروكوبيوس عرش الإمبراطورية فليس أقل من أن يطيح به، ومن ثم طلب من جوفيان إعفاءه من قسمه العسكري، مع السماح له بالتقاعد من منصبه ليتفرغ بالإعتناء بشئونه الخاصة. ليقرر بعدها بروكوبيوس الاختفاء كلية عن عين الإمبراطور جوفيان متوجهًا إلي قيصرية[٤٠] مصطحبًا زوجته وأطفاله، مقررًا الإقامة بممتلكاته الخاصة في تلك الناحية. بيد أن عيون جوفيان كانت تتبع حركاته وسكناته، وتم إرسال من يلقى القبض عليه، فاستسلم طواعية دون مقاومة تذكر لرجال الإمبراطور. إلا أنه لم يكن يرغب في تلك النهاية المزرية، فلجأ إلي خدعة تمكنه من الفرار، حيث استأذن

من هؤلاء النفر في توديع زوجته وأطفاله مستغلًا اطمئنانهم لموقفه المسالم وما كانوا عليه من تأثير تناولهم للخمر، مما يسر له خطة فراره مصطحبًا عائلته، وتوجه نحو تاوريس خيرسون Taurica Chersonesus [٤١]، لكنه بعد أن مكث بها حيزًا من الزمن اضطر لترك ذلك المكان[٤٢] بسبب سأمه العيش به، فقد كان يحيا فيه كالوحش البري (حيث شعر بأنه ينحدر من مكانة أرستقراطية إلي هاوية الحضيض في مجال المعيشة، ففي كثير من الأحيان تعسر عليه أن يحصل على ما يقتات به، فضلاً عن حرمانه من الاجتماع مع الأصدقاء والبشر [٤٣]، كذلك إزداد تخوفه من القاطنين حوله من أن يوشوا به فيتم تسليمه لمضطهديه [٤٤]. ومن ثم بادر بترك تلك البقعة متوجهًا إلي خلقدونية في سرية تامة على متن سفينة تجارية [٤٥].

وهنا التجأ بروكوبيوس للاختباء لدى ستراتجيوس Strategius [٤٦] أكثر وأشد أصدقائه ولاءًا له، وظل بروكوبيوس يتنقل بين هذا المكان والقسطنطينية بين الحين والآخر في تلك الفترة، وقد تم إدراك هذا الأمر من لسان ستراتجيوس ذاته عندما أجريت التحقيقات مع المتواطئين بالتنظيم السري الذي أنشأه بروكوبيوس لاحقًا [٤٧]. وقد استغل بروكوبيوس فترة اختبائه في استعادة لياقته البدنية التي أنهكتها الأحداث والظروف التي مر بها من قبل مضطهديه كما ذكر إميانوس: " كان ينظر مثل الوحش إلي فريسته، وكان علي استعداد للوثوب دفعة واحدة لدى رؤية أي شخص يريد الانقضاض عليه " [٤٨]. وقد ظل متوثبًا للفرصة الملائمة للانقضاض والثورة حين يتسنى له ذلك.

وحين ارتأى بروكوبيوس أن الظروف قد سنحت توجه نحو القسطنطينية ليفجر ثورته ضد الإمبراطور فالنز، فقد استشعر أن الوقت المناسب لإعلان تمرده علي الحكم، خاصة مع وجود فالنز على رأس السلطة، ولعل دافعه الأقوى أن من تهون عليه الحياة يهون عليه الخطر، فقد تعرض في الفترة السابقة لمآسٍ كثيرة ومؤلمة فلو كتب عليه الموت جراء ثورته فسيكون أكثر رحمة مما تعرض له من آلام [٤٩]. ومن ثم مثل هذا الدافع المبرر الأقوي

لتمرده، إضافة لتولي فالنز عرش الإمبراطورية الشرقية. وفي تلك الأثناء كان فالنز مشغولًا بتأمين الحدود، وتهدئة الأحوال بينه وبين الجانب الفارسي (٥٠)، فبادر في صيف عام ٣٦٥م بالذهاب إلي سوريا وتجاوز حدود بيثينية (٥١) لتحقيق هذا الأمر، وفي نفس الوقت كان القوط يعدون العدة لغزو الأراضي التراقية، وما أن نما لعلمه ذلك الخبر، اضطر فالنز إلى العودة غربًا لمدافعة القوط، وأمر بتعزيزات كافية لسلاح الفرسان والمشاة لتدعيم الدفاعات عن الحدود الدانوبية (٥٢).

مثلت نزاعات فالنز الخارجية الفرصة الذهبية لبروكوبيوس لتدعيم ثورته وتفجيرها في وجه فالنز، فبدأ يعمل علي استقطاب فيالق الجيش المعروفة بـ " ديفيتنسيس Divitenses" (٥٣)، وفيلق " تونغرينكي Tungricni" (٥٤) الأصغر والذين صدرت إليهم الأوامر بالمسير نحو تراقيا لتأمين الحدود الدانوبية، ووفقًا للعرف السائد فإنهم سيتوقفون لمدة يومين بالقسطنطينية أثناء تحركهم إلي وجهتهم المعلومة، وهنا قرر بروكوبيوس استغلال تلك الفرصة في إغواء بعض القادة ممن يثق في عدم انشقاقهم عليه وليقتصر على تلك الفئة القليلة فقط، فقد كان باعتقاده أنه من الآمن " الاعتماد على أمانة القلة أفضل، فمن الأصعب الاعتماد على الجسم كله ". والمراد بها الفرقة الكبرى (٥٥). مما يدل على تفضيل بروكوبيوس آنذاك الاعتماد على قلة من الضباط من ذوي الثقة فحسب.

وأمام تلك المكافأت والإغراءات المادية والمعنوية التي داعب بها بروكوبيوس طموحاتهم ورغباتهم اقتنص من هؤلاء القسم بأن يكونوا رهن إشارته وطوع بنانه في كل ما يبتغيه، وبذلك اكتسب بروكوبيوس مبعوثين له ينضمون إلي حزبه، مناصرين جدد من زملائهم بتلك الفيالق فقد لعبت خدمتهم الطويلة وتأثيرهم الكبير دورًا كبيرًا في تفعيل تلك الثورة (٥٦).

ونما إلى علم بروكوبيوس أن هذه الجحافل تتمركز بحمامات أنستازيا Anastasia (٥٧)، فتوجه من فوره إليها قبل أن يلتقى بقادة هذه الجحافل –

بناء على نصيحة مبعوثيه إليهم – وكان مبعوثوه قد سبقوا للقائهم بليلة واستطاعوا الحصول على موافقتهم بالانضمام لثورته، فكان لابد من استكمال الأمر بمقابلة هؤلاء، وعند لقاء بروكوبيوس بهم تم التأكيد على ما قطع من وعود. إلا أن الأمر كان مغايرًا حين التقي بالجنود المرتزقة، فعلى الرغم من تعامله معهم باحترام كبير إلا أن البعض منهم قاموا باحتجازه [٥٨] حتى يتحققوا تمامًا من تلك المكاسب التي سيحصلون عليها حيال انضمامهم لحركته[٥٩]، فقد كان العنصر المادي هو المحرك الأساسي والمعيار الأكثر أهمية في التحكم في توجهاتهم.

وعقب تسوية الأمور مع تلك الطائفة صار موقف بروكوبيوس أكثر قوة وأشد نفوذًا وتأثيرًا، وبعد اطمئنانه بأن خيوط اللعبة السياسية بين قبضته إذ به يعلن نفسه إمبراطورًا للدولة الرومانية الشرقية، ولكن كان عليه أن يظهر بالرداء الأرجواني – الذي سبق وأن سلمه طواعية لجوفيان – بما له من رمزية لإعلان شرعية الإمبراطور [٦٠]. إلا أن افتقاده لهذا الرداء أثر بشدة علي أداء ذلك المشهد الفارق، فقد بدا دونه شاحبًا أشبه بشبح أتي من العالم السفلي لعدم تمكنه من ارتداء رداء ملكي مناسب [٦١]، مما جعل المؤرخ المحدث "كيلي Kelly" يذهب بقوله: " إن إخفاق بروكوبيوس في ثورته عائد إلى ما كان يرتديه"[٦٢]، فقد اضطر إلى ارتداء سترة مطرزة بالذهب شأنه في ذلك شأن أي ضابط بالقصر، وكان الجزء السفلي من ملابسه يبدو فيه مثل صبي بإحدى المدارس، فقد كان يرتدي حذاءًا بنفسجيًا بقدميه حاملًا في يده اليمنى قطعة صغيرة من القماش الأرجواني إضافة إلي حمله لرمح [٦٣]، فبدا أمام الحضور بصورة ممثل من الدرجة الثانية يقوم بتجسيد مشهد درامي وقد ظهر فجأة علي المسرح [٦٤]، لكنه لم يلبث أن أعلن نفسه إمبراطورًا للدولة الرومانية الشرقية وكان ذلك في ٢٨ سبتمبر عام ٣٦٥م [٦٥].

ولم يتورع بروكوبيوس في هذه اللحظة الحاسمة عن مخاطبة أنصاره واعدًا إياهم بالمنح والعطايا من ثروات هائلة ومناصب عليا، وتقدم بهم نحو شوارع

القسطنطينية وبرفقته عدد كبير من الجنود المدججين بالسلاح، مما تسبب في إحداث ضجيج عالٍ نظرًا لكمية الدروع الضخمة التي صاحبت المسيرة، وقد دخل حزن عميق إلي نفوس الجنود حين تم رشقهم بالحجارة من أسطح المنازل التي أحاطت بمسيرتهم (٦٦).

وعلى جانب آخر، وجد بعض من عامة الناس الذين لم يظهروا أي امتعاض أو نفور من تأييد ثورة بروكوبيوس، بل وجدوا فيه أملهم المنشود الذي سيخلصهم من بترونيوس – حمي فالنز – تلك الشخصية البغيضة على قلوبهم، فقاموا بتأييد هذه الثورة، فقد كان بترونيوس قد أثقل كاهلهم بكم من الديون الباهظة والتي ترجع إلى عهود الأباطرة السابقين كما بينا سلفًا. ونظرًا لانعدام شعبية فالنز بين جموع المواطنين، فقد انضمت تلك الطائفة بعد ذلك إلى حزب بروكوبيوس (٦٧).

وتخدم الظروف بروكوبيوس أكثر بتعرفه على أحد أثرياء القسطنطينية، وهو أوجنيوس Eugnius (٦٨) فاستقطبه لتزويده بما يلزمه من أموال تعينه على تقديم الرشاوي لحراس البلاط التي تتألف من جحافل عسكرية وعبيد مسلحين لتدعيم قبضة بروكوبيوس في القسطنطينية (٦٩).

وفي تلك اللحظة يصعد بروكوبيوس إلى البلاط الإمبراطوري ويخطب في الناس خطبة قصيرة بصوت هادئ منكسر، متحدثًا فيها عن علاقته بالعائلة الإمبراطورية، وبأنه لقرابته بها أحق بالعرش من فالنز. وقوبلت خطبته بداية بتصفيق باهت من قبل شيعته التي تمت رشوتها وشراء ولائهم، أما عن الطبقة ذات الأحوال المضطربة فقد قابلت خطبته بعاصفة من التصفيق الحار وقد رحبوا به وتقبلوه إمبراطورًا عليهم. ثم توجه بروكوبيوس في خطوة لاحقة إلى مجلس السناتو الذي خلا من وجود أي نفر من النبلاء، واقتصر على الرعاع فقط، في إشارة واضحة لرفض طائفة النبلاء تنصيب بروكوبيوس، غير أن موقفهم تغير بعد ذلك ليلقي بروكوبيوس الدعم من مجلس الشيوخ في وقت لاحق (٧٠).

ومما يلفت النظر حين دخل بروكوبيوس القصر الإمبراطوري وجد نخبة من التجار والمتقاعدين من الضباط يحيطون بالقصر انتظارًا لما تسفر عنه الأحداث، وما لبثوا أن انضموا جميعًا لحزب بروكوبيوس سواء عن طيب خاطر أو عن طريق شراء ولاءهم بالمال، إلا أن فريق منهم سئم الوضع مفضلًا الفرار والانضمام لمعسكر فالنز [٧١].

ومن تعاقب تلك الأحداث كان صفرنيوس Saphronius[٧٢]، الذي كان يشغل منصب سكرتير الإمبراطور فالنز فقد توجه نحو معسكره لينبأه بكل الأحداث. وكان فالنز على وشك الانطلاق من قيصرية إلى أنطاكية، فلما علم بما آلت إليه الأمور قرر العودة إلى غلاطية [٧٣] كي يؤمنها من الوقوع بيد بروكوبيوس[٧٤]. وقام مستشارو فالنز بحثه على إرسال جحافل جوفي Jovii والنصر Victores سويًا لقمع حركة التمرد [٧٥]، مع ضرورة استدعاء بعض الوحدات من الأقاليم الشرقية إذا استدعى الأمر ذلك [٧٦].

على الجانب الآخر، أراد بروكوبيوس تدعيم مركزه بأسرع وقت، ففي الوقت الذي كان فالنز يمضي قدمًا بأقصى سرعة ليصل القسطنطينية لجأ بروكوبيوس لحيلة بارعة بواسطة مبعوثيه حين تظاهر بعضهم بمجيئه من بلاد الشرق والبعض الآخر تظاهر بقدومه من بلاد الغال لإيهام أتباع فالنز باتساع نفوذ ثورة بروكوبيوس [٧٧]، وتشتعل الخطة أكثر حين أشاع هؤلاء النفر أن الإمبراطور فالنتينيان قد توفى، وبذلك تسقط شرعية فالنز المعين من قبله، ومن ثم أصبح الطريق ممهدًا أمام بروكوبيوس لاعتلاء العرش دون منازع [٧٨]. ولعل الهدف من هذه الحيلة تمثل في نزع رداء شرعية الحكم عن فالنز الذي اكتسبها في الأساس من تنصيب فالنتينيان له، فبموته تسقط تلك الشرعية الممنوحة له حيث كان فالنز يحكم نيابة عنه، وفي تلك الحالة لن يوجد ممانع لتولي بروكوبيوس زمام الأمور والرضوخ للأمر الواقع.

وقام بروكوبيوس بسلسلة من الإجراءات التي من شانها أن تؤكد على شرعية حكمه بصورة كاملة، فقام بتشكيل حكومته الجديدة مراعيًا أن تؤول

المناصب الرفيعة إلى أصحاب ثقته المقربين، مع إقصاء كل من تولاها فترة حكم فالنز، وتم إيداع بعضهم في غيابات السجون ومنهم نيبردنيس Nebridins [٧٩] الذي كان حاكمًا برايتوريًا [٨٠] (قائد الحرس الإمبراطوري)، كما تم إيداع قيصريوس Cassarius حاكم القسطنطينية السجن أيضًا، وتم تكليف فرونيميوس بحكومة المدينة بديلًا عنه، كما أصبح يوفراسيوس Euphrasius سيدًا للمناصب (كبير المسئولين الإداريين)، كما تم إسناد الشئون العسكرية إلي كل من جوماريوس Gomoarius وأجيلو Agilo [٨١].

والملاحظ بالأمر أن بروكوبيوس قد جانبه الصواب في إسناد المناصب الحساسة لأهل الثقة لا الكفاءة بسبب ما قطعه علي نفسه من وعود في البداية، مما أحدث كثيرًا من التجاوزات، فنجد الوساطات تلعب لعبتها في تعيين الأشخاص بالمناصب الهامة مثل تعيين أراكسوس Araxius بناء علي توصية من صهره أجيلو، وتم تعيين بعض الأشخاص داخل القصر الإمبراطوري في مناصب مختلفة عن طريق تلك الوساطات، بل امتد الأمر ذاته إلي حكومة المقاطعات، فهناك من عُين ضد إرادته والبعض قدم الرشاوي للظفر ببعض الوظائف [٨٢]، مما يؤثر بشدة علي أداء الوظائف بتلك الحكومة الناشئة، كما يؤثر بالسلب علي الرعية التي تجد من يصلون إلى مناصب خطيرة لمجرد طموحات هوجاء، بينما يتهاوى أصحاب الأصول النبيلة لدرك سحيق لمجرد اختلافاتهم مع صاحب السلطة الأعلى والمتحكم في تصاريف الأمور، بل وقد يصل الأمر بالحكم عليهم بالنفي أو الموت [٨٣].

أراد بروكوبيوس التأكيد على شرعيته في الحكم، فقام في مرحلة مبكرة بصك بعض العملات الذهبية التي تبرز رأس بروكوبيوس على عادة ما يصنعه الأباطرة الرومان الأصلاء [٨٤].

وقد ابتغي بروكوبيوس تحقيق التفوق العسكري على فالنز، فرأى ضرورة تقليص قوته الدفاعية تحسبًا للمواجهة المرتقبة بينهما، وضرورة اتخاذ كل السبل التي تحقق بغيته، وقد كان بروكوبيوس على دراية كبيرة بالقوة الفعالة في قوات

فالنز والتي كان يقودها يوليوس Julius في تراقيا، ومن ثم كان تخوفه الأشد أن تقوم تلك القوات بسحق أنصاره، فأخذ يدبر لخدعة فعالة يتم بها استدراج يوليوس إلي القسطنطينية مع فرقته العسكرية، وبعدها يتم استقطابه لحزبه [٨٥]، ولكي يحقق ذلك أجبر نبريديوس المحتجز لديه بكتابة رسالة إلي يوليوس مضمونها أن الإمبراطور فالنز قد عينه لاتخاذ بعض التدابير فيما يتعلق بتحركات البرابرة وطلب منه الإسراع في التحرك إلي القسطنطينية لمداولة هذا الأمر، وبالطبع لم يدر بخلد يوليوس أن نبريديوس محتجزًا لدى بروكوبيوس. وابتلع يوليوس الطعم وتوجه لنحوالقسطنطينية ليتم احتجازه وكافة فرقته، وبذلك استطاع بروكوبيوس تحقيق خطته دون إراقة أية دماء. والأعجب من ذلك استطاعته أن يضمهم لحزبه، فتحول هؤلاء من خطر مناوئ إلي قوة معضدة في حوزته وطوع بنانه [٨٦].

وكانت الخطوة التالية هي إنشاء جيش منظم وقوة عسكرية كافية، على أن هذه الخطوة قد تمت له في يسر حيث استطاع تجميع فئات من الفرسان والمشاة كانت تمر عبر تراقيا، فضم كل هذه الفئات في فرقة واحدة لتصير مظهرًا لجيش متكامل، وألهب حماسهم بما قطعه على نفسه من وعود خلابة جعلتهم يقسمون بالوفاء له في يمين رسمي، واعدين إياه بالدفاع عنه بكل ولاء واستماتة، وبذلك أقروا ببروكوبيوس كإمبراطور جديد [٨٧].

وسعي بروكوبيوس وراء كل وسيلة تدعم شرعيته فظهر أمام حشود الجماهير حاملًا الطفلة " قنسطنطينا بوستوميا Constantina Postumia " ابنة الإمبراطور قنسطنطيوس الثاني بصحبة والدتها فوستينا Faustina [٨٨] في إشارة ضمنية منه لانتمائه للدم الملكي، بما يوحي بكونه الأجدر بعرش الإمبراطورية، وكونه الوريث الشرعي لسلالة قنسطنطين العظيم [٨٩]، حيث يمت بصلة قرابة للإمبراطور جوليان المرتد، موضحًا أن كل من فالنتينيان وفالنز لا يستحقان أن يصيرا أباطرة حيث لا ينتميان بأي صلة لسلالة قنسطنطين الملكية، ومن ثم فلا يجوز لتلك السلالة العريقة أن يدخل في

نسيجها أطراف غريبة عنها حتي لا تمس أنماط الولاء الراسخة لها [٩٠].

وأراد بروكوبيوس في سبيل ترسيخ شرعيته إرسال بعض من مبعوثيه إلي الليريكوم، وقد وصفت هذه المجموعة التي أرسلت علي لسان المؤرخ أميانوس بأنهم " أغبياء متهورين " [٩١] كانوا محملين ببعض العملات الذهبية المختومة باسم الإمبراطور الجديد ليقوموا بتوزيعها على عوام الناس حتي يحصلوا على تأييدهم لحزب بروكوبيوس. إلا أن هؤلاء الذين وكلت إليهم تلك المهمة قاموا بعملهم بطريقة فجة ومكشوفة أثارت حفيظة رجال فالنز، وعلى رأسهم القائد أيكيوتيوس Aequitius [٩٢] الذي قام باعتقالهم ونفذ فيهم حكم الإعدام بطرق مختلفة [٩٣]. ونرى في هذه المعضلة أن فشلها إنما يعود إلى عدم حسن تخير رجال مهمة دقيقة مثلها، فلابد لمن يكون مبعوثًا في مهمة مثل تلك أن يمتلك مقومات شخصية تتسم بالحصافة والحيطة وحسن التعامل مع الحدث، لكن هؤلاء النفر سيطر عليهم شعور التباهي والأهمية لذواتهم فأخذوا في توزيع العملات الذهبية في زهو زائف دون مراعاة الاحتياطات الاحترازية في مثل تلك المواقف حتي لا يثيروا حفيظة القائمين علي المدينة، ومن ثم فقد استحقوا تلك النتيجة.

وفي تلك الفترة أخذ أتباع فالنز وقف تقدم بروكوبيوس وأتباعه تحو المدن التي لم يتمكنوا من السيطرة عليها بعد، فقام أيكيوتيوس بقطع كل طرق الممرات التي تصل بين الشرق والغرب [٩٤]، حيث تمكن من السيطرة علي ثلاثة مداخل تؤدي إلى المقاطعة الشمالية من خلال داكيا Dacia [٩٥] أولًا بطول الأنهار المختلفة، وثانيًا عن طريق سوتشي Succi [٩٦]، أما الثالثة من خلال مقدونيا في المنطقة المعروفة باسم أكونتسيما Acontisma [٩٧]، وجاءت نتيجة تلك الإجراءات الصارمة مع احتياطاتها الاحترازية أن حرم بروكوبيوس من كل بادرة أمل في الاستيلاء على الليريكوم ففقد موردًا هامًا يستطيع من خلاله مواصلة حربه[٩٨].

- **المواجهة بين بروكوبيوس وفالنز :-**

لم يكن فقدان فالنز لعرش الإمبراطورية بالأمر الهين أو ما يمكن أن يمر مرور الكرام دون رد فعل، فاستعاد رابطة جأشه، وقرر القتال باستماتة للحفاظ على عرشه، ومن ثم كان قراره بالعودة إلى القسطنطينية كما أسلفنا، وعلى الرغم من أن فالنز كان يسرع في العودة، إلا أن تقدمه كان مشوبًا بكثير من مشاعر القلق واليأس، حتى أنه فكر في لحظة من اللحظات في التخلص من عبء هذا الأمر والتخلي عن كرسي العرش، حتي أنه بادر بخلع ردائه الإمبراطوري الذي أحس أنه يمثل عبئًا ثقيلًا عليه، بل وكاد أن يفعل هذا الصنيع لولا التدخل القوي من رجاله المحيطين به [٩٩].

نرى في مشاعر الإحباط واليأس التي سيطرت على فالنز تعود في الأساس إلي جملة الضربات التي وجهها إليه خصمه علي المستوي العسكري من هجومه الخاطف علي القسطنطينية، وعلى المستوي السياسي في استقطابه للقادة وللرجال ذوي الكفاءات واستغلاله لمنصبه وصداقاته السابقة، واتكائه على سند من نبل أرستقراطي يجذب إليه جموع العامة، فأية مواجهة حاسمة سيدخلها فالنز ضد بروكوبيوس ستبوء بالفشل والنهاية المفجعة، بل وكاد أن يلقي الأمر برمته ويرفع راية الاستسلام لولا حرص أتباعه على أنفسهم من قبله فهم من سيطاح برؤسهم إذا ما تم الأمر لبروكوبيوس فاستماتوا لرده إلى صوابه.

على جانب آخر، حين علم بروكوبيوس بتحرك جحافل جوفي والنصر وغايتهما سحق أتباعه، بادر من فوره بالتحرك مصطحبًا فيلق ديفيتنسيس Divitensesيخالطه المجموعة التي استقطبها من جيش فالنز وضمها إلي صفوفه، فاتجه نحو ماجديوس Mygdus [١٠٠]، فلما التقى الجيشان، وبينما كان كل جانب يرمي بقذائفه تجاه الآخر، اندفع بروكوبيوس من بين الصفوف وأشار بذراعيه إلى أحد قادة جيش فالنز الذي يدعى فيتاليانوس، وكان في مقدمة الجيش، فإذ ببروكوبيوس يمد ذراعه لتحيته، بل وقيامه بعناقه مما جعل كلا الجيشين ينظر في ذهول لهذا الأمر [١٠١]. وفي رأينا أن ما فعله

بروكوبيوس إنما من قبل المناورة، فالحرب خدعة، فقد كان الهدف من تلك المناورة الذكية هو زعزعة الثقة في صفوف جيش فالنز، وإرسال رسالة تشكيكية مفادها أن فيتاليانوس علي صلة وطيدة به، بل وإمكانية بروكوبيوس علي استقطاب من يشاء من جيشه مما يضعضع قوة فالنز، ويحد من قدرته علي المواجهة، وهو الأمر الي يأمله بروكوبيوس.

وتدليلًا على ذلك، بذل بركوبيوس أقصي قوته لإغواء قادة الفيالق التي تتصدر الجبهة كي تحول ولائها نحوه، فقام وصاح بأعلى صوته مخاطبًا هذه الفئة: " هل هذه نهاية الإخلاص للجيوش الرومانية، والأيمان التي تقسم تحت التزمات الدين ؟ هل قرر الرجال البواسل استخدام سيوفهم ضد الغرباء ؟ وأن بانونيا المتدهورة يجب أن تقوض،[١٠٢] وتزعج كل شئ، وبالتالي يتمتع بقوة سيادية لم يغامر بتصويرها لنفسه في صلاته، بينما تأسف على ثروتك السيئة ونأسف على أنفسنا، اتبع بالأحري سباق أمرائك النبلاء الذين هم الآن في السلاح، وليس مع وجهة نظر الاستيلاء على ما ينتمي إليها، بل على أمل استعادة ممتلكات أجدادهم وكرامتهم الوراثية ". وقد تم الترويج من خلال هذا الخطاب الذي يوصف بالاسترضائي أو المحفز لأولئك النفر الذين أتوا بنية القتال. فما لبث أن ظهر أثر مردوده باندفاع أعداد غفيرة من جيش فالنز نحو جيش بروكوبيوس منضمين إليه من تلقاء أنفسهم، وهنا تم استبدال الصيحات المفزعة التي كانت موجهة لبروكوبيوس إلى صيحات التحية والإجماع للإمبراطور بروكوبيوس، ورافقوه إلى معسكره [١٠٣].

ونكاد نلمح مدى ما كان لبروكوبيوس من مساحة مودة في نفوس قادة الفيالق التي يقودها فالنز وما يكنونه له من تقدير باعتباره كان واحدًا منهم، بل ويقودهم في غمار المعارك، ومن ثم دفع بهم إلى زاوية الحرج من تصويب سلاحهم نحو رفيق الأمس الذي من بني جلدتهم، وليس غريبًا عنهم كفالنز الذي ينحدر من أصول غربية فكان من الأحرى أن تصطف تلك الجحافل في جيشه لا أن توجه ضده، كما استنكر أن تصير بانونيا مقرًا لحكم فالنز،

وجاءت ختامية خطابه لتلخص هدفه الأساسي حين أشار لكونه علي يقين تام بأن الحقوق الوراثية للعرش لابد وأن تعود إلي مستحقيها في إشارة ضمنية لشخصه. وجاء مردود خطابه بنتائج مثمرة، حيث تدفقت نحوه أعداد غفيرة من جيش فالنز.

وقد انضم عامل آخر في تقوية جبهة بروكوبيوس بل وتقدم خطواته هو وجود التربيون رومتيالكا Rumitalca [١٠٤] بصفوف جيش بروكوبيوس حيث استطاع تجميع جيوش بروكوبيوس واتجه بها نحو هيلينوبوليس Helenopolis[١٠٥]. ثم اتجه إلى نيقية فاستولي عليها، فأصبح بروكوبيوس بذلك سيدًا عليها[١٠٦]. وكان رد فعل الإمبراطور فالنز على هذا الاقتحام أن أرسل قائده فادوماريوس Vadomarius[١٠٧] مصطحبًا مجموعة من اصحاب الخبرات لحصار نيقية، بينما قاد فالنز بنفسه كل قواته وتوجه بها نحو نيقوميديا ومنها إلى خلقدونية، وقام بتشديد الحصار على أسوار المدينة، بيد أن من كان بالداخل من المواطنين المدافعين عنها قاموا بتوبيخ فالنز وإهانته ونعتوه بـ "ساباريوس Sabaiorius " [١٠٨] (أي شارب البيرة) مما أثر علي معنويات الجيش المحاصر [١٠٩].

يضاف لهذا الأمر، تعقد موقف جيش فالنز المحاصر لمدينة نيقية حيث عانى من شح الإمدادات، غير المقاومة العنيفة التي أبدا المدافعون عنها، ومن ثم قرر وانتوى فك الحصار عنها لولا قيام الحامية المدافعة عنها بقيادة رومتيالكا بفتح أبواب المدينة مسرعين خارجها لقتال المحاصرين لها، وكان من بين من قتلوا القائد فادوماريوس بذاته، ولم تكن تلك الخطوة ذات جدوى، ويبدو أن نشوى الظفر لرومتيالكا جعلته يحاول تعقب الإمبراطور فالنز – الذي لم يكن قد غادر مدينة خلقدونية بعد – فوصلته أنباء ما حدث فاستشعر الخطر المحدق به، فعمل علي الفرار سريعًا عن طريق مكان يقع بين بحيرة سونونيان sunonian، ومسار اللف حول نهر جالوس Gallus، بيد أن رومتيالكا وجنده كانوا يتتبعون أثره بل وكانوا قريبين للغاية من تعقبه [١١٠]. غير أن فالنز في

نهاية المطاف استطاع أن يفلت من تلك المطاردة ويتوجه نحو أنقيرة Ancyra(١١١)، وهو في حالة شديدة من الاضطراب والترقب، مما أعطي الفرصة السانحة لجيش بروكوبيوس في الاستيلاء علي بيثينية (١١٢).

وفي تلك الأثناء أرسل بروكوبيوس قائده لوبيكينوس Lupicinnus بقوة غير قليلة في طريقها نحو الشرق (١١٣)، فبعث فالنز فرقة بقيادة الجنرال أرينثيوس Arintheus (١١٤) لمواجهة جيش بروكوبيوس، والذي تابع سيره حتي وصل داداستانا Dadastane (١١٥)، هناك فوجئ بجيش هايبرتشيوس Hyperechius(١١٦) – وهو صديق شخصي للإمبراطور – بقواته التابعة لبروكوبيوس تعارضه، فقرر أرينثيوس أن يعتمد علي قوته وسلطته في تحفيز رجال هايبرتشيوس لينقضوا علي قائدهم فقبضوا عليه وقيدوه بالحديد، وهكذا أخذ ظل هذا القائد علي يد رجاله (١١٧). ولتدعيم جيش بروكوبيوس في بيثينية، تم إرسال جيش بري بقيادة مارسيليوس (١١٨) إلي هناك، وفي ذات الوقت أرسل الإمبراطور فالنز فرقة بقيادة سيرينيونوس Serenionus (١١٩)، والتي تتكون من سلاح الفرسان الإمبراطوري حيث كانت تلك القوة في طريقها نحو سيزيكوس Cyzicus (١٢٠) لحماية الخزانة والدفاع عن المدينة، لكنها حين أدركت بتقدم جيش مارسيليوس جهة المدينة لاذت بالفرار إلي داخل سيزيكوس، فقام مارسيليوس بتتبعه (١٢١).

وباستقراء الأحداث لا نشك في أن بروكوبيوس لم يكن يريد أن تقتصر سيطرته علي سيزيكوس فقط، وإنما كان يريد السيطرة علي مضيق الدردنيل كله، ومن ثم فقد بادر بإرسال قوة بحرية لتضاف إلي حصار الميناء حتي يتسنى له السيطرة علي مدينة سيزيكوس برًا وبحرًا. وبالفعل زحف لحصار الميناء، إلا أن المُحَاصِرين تعرضوا لوابل من السهام والقذائف النارية، كما تم رفع أقوي السلاسل الحديدية عند فم الميناء والتي كانت مثبتة بقوة على أرض جانبي المكان، وذلك لاحتجاز أي سفينة من سفن بروكوبيوس ومنعها من الدخول إلي الميناء (١٢٢)، غير أن التربيون أليسو Aliso (١٢٣) التابع لحزب

بروكوبيوس قد استطاع قطع السلسلة بإجراءات بارعة، حيث قام بتثبيت ثلاثة زوارق بتشكيل السلحفاة Testudo [١٢٤] واضعًا علي المقاعد بعض الرجال الحاملين دروعهم بتلاحم شديد لتصل الدروع فوق رؤسهم، ثم وضع صف آخر خلفهم ينخفض عن مستوي الصف الأول، فصف ثالث أقل انخفاضًا عن الصف الثاني وتتابع بقية الصفوف في تدرج منتظم بحيث يكون الصف الأخير مرتكزًا علي أزرعهم ليعطي هذا التشكيل مظهر القوس، وغالبًا ما يستخدم هذا التكنيك في الصراع تحت الأسوار، فحينما تتلقى ضربات القذائف والحجارة فإنها ستنحدر كزخات المطر [١٢٥].

وعلي ذلك التخطيط كان أليسو قد بني خطته الدفاعية أمام وابل القذائف المرسلة نحوه، ثم ما لبث أن وضع جذوع الأشجار القوية تحت السلسلة، ليضرب بفأسه ضربات قوية علي حلقات السلسلة فيتمكن من قطعها ليغادر سريعًا المدخل الواسع بسفنه، ويدخل الميناء ليدلف إلي مدينة سيزيكوس وتتم سيطرته عليها، فلما وصلت أخبار اقتحام المدينة مسامع بروكوبيوس توجه إليها من فوره، فما أن دخلها أصدر قرارًا بالعفو عن جميع المعارضين مستثنيًا سيرينيونوس [١٢٦] الذي قام باعتقاله ثم أرسله إلي نيقية ليسجن بها، [١٢٧]. وكانت محصلة تلك الأحداث وثمرتها، أن ازدادت الأعداد المنضمة لبروكوبيوس، حيث ثبت للجميع قدرته على مواجهة فالنز، ولم يكتفِ بروكوبيوس بضم القوة المحلية فحسب، بل ازداد طموحه في ضم قوي خارجية أيضًا، حين طلب المساعدة العسكرية من قبل القوط الغربيون [١٢٨] وفي هذا الصدد يلعب بروكوبيوس مرة أخري علي وتر قرابته لجوليان المرتد وانتمائه لسلالة قنسطنطين العظيم لتدعيم موقفه من مساعدة القوط العسكرية له، ولم يعدم تأثير هذا المنحنى من ثمرة فقد بادر القوط بإرسال قوة حربية تتألف من ثلاثة ألاف مقاتل لدعم حركته ضد فالنز [١٢٩]، إضافة لتقديم دعمًا معنويًا أيضًا بإقرارهم لحركته [١٣٠]. على أن القراءة الصحيحة للوضعية السياسية آنذاك تبين أن مساعدة القوط له لم تكن بسبب سلالته أو نبل أرستقراطيته وإنما

كان هدفهم الحصول علي تنازلات من الحدود الرومانية حال تفرده بالسيادة علي الجزء الشرقي من الإمبراطورية [١٣١]. وبذلك يتضح موقف القوط الحقيقي من دعمهم لبروكوبيوس وكونه لا يتكئ علي صلات السلالة أو الانتماء العائلي بقدر ما يستند علي لغة المصالح والمكاسب السياسية لأن بروكوبيوس سيجد نفسه مضطرًا في لحظة ما إلي رد هذا الجميل إليهم.

وبنفس النهج (اللعب علي وتر قرابته لجوليان) استطاع بروكوبيوس أن يحصل علي دعم عسكري آخر من رئيس سكيثيا Scythia [١٣٢]، والذي بعث إليه بعشرة آلاف رجل تحقيقًا لغرض بروكوبيوس [١٣٣].

على الجانب الآخر، عمل فالنز علي تعقب الأشخاص ذوي التأثير الكبير من رجال بروكوبيوس في محاولة لتفريغه من قواته، وكان علي رأسهم القائد أورميسداس Ormisdas [١٣٤]، الذي الذي قام بروكوبيوس بترقيته إلى درجة بروقنصل، وبمقتضي ذلك صار المسئول الأول عن كل الشئون المدنية والعسكرية، وكاد أن يقع بالفعل في قبضة جنود فالنز المتتبعين أثره عبر طرق جانبية من فريجيا [١٣٥]، إلا أن شجاعته وحصافته مكناه من الفرار بنفسه وزوجته [١٣٦]، فقد كان قد جهز سفينة سلفًا لمثل هذه الطوارئ، لكنه ما أن تحرك بها حتي انهال وابل من القذائف علي السفينة أعاق حركتها، وتم الاستيلاء عليها لينتهي الأمر بإلقاء القبض على أورميسداس وعائلته [١٣٧].

وعلى صعيد آخر فقد أججت نيران التمرد على حكم فالنز فى مصر، وبخاصة حين بعث بوكوبيوس بسفرائه إليها لحث شعبها على التمرد ضد فالنز وتأيد ثورته فصادف الأمر هوى المصرين ؛ نظراً لسياسة فالنز التى تنال من الشخصية المصرية حين اقصى فالنز أثناسيوس –الأب الروحى للمصرين – عن كرسيه الكنسى، ومما أثار فزع فالنز وجعله يعدل من سياسته المناوئة للمصرين أن سرت شائعة فحواها أن بروكبيوس سيتوجه لضم مصر الى حوزته وجعلها رأس حربة ضد فالنز مما جعل الأخير يبادربإصدار مرسوم إمبراطورى أواخر يناير ٣٦٦م مضمون فحواها العفو عن أثناسيوس وعودته الى اسقفيته

وايقاف كل مظاهر الإضطهاد ضد المصرين فى محاولة جاهدة لكسب ود المصرين لصالحه

ويبدو أن الانتصارات المتتالية التي حققها بروكوبيوس قد أثرت علي حذره السياسي في التعامل مع الأشخاص دون أن يدرك أن "أي رجل سعيد إذا دارت عجلة الحظ عنه قد يصبح أكثر سوءًا في المساء"، فعلي حين اكسبته تلك السعادة قوة زائدة، فإنها قد طبعته بشئ من الغلظة التي تصل لحد القسوة في تعامله مع أي شخص يشك في إخلاصه، ومثال ذلك قيامه بتخريب منزل أربيتيو Florius Arbitio [١٣٨] الملئ بالأثاث القيم الذي لا يقدر بثمن، فقد توهم بروكوبيوس أن أربيتيو صار من أنصاره، إلا أن الأحداث كشفت عن أن ولاءه لايزال متجهًا إلي فالنز، فقد بادر بروكوبيوس باستدعائه للحضور أكثر من مرة فلم يلبي الدعوات المتوالية متعللًا بضعفه ومرضه وكبر سنه، بل توسل لبروكوبيوس أن يتركه وشأنه لتردي صحته[١٣٩]. فلما علم فالنز بما أصاب أربيتو بسبب ولائه استدعاه إلي معسكره، وما أن وصل أربيتو حتي جعله فالنز قائدًا لقوات الجيش ليستفيد من خبراته الكبيرة في محاربة بروكوبيوس فيما بعد [١٤٠]. ومثل سوء تصرف بروكوبيوس مع شخصية مخضرمة لها ثقلها العسكري في التخطيط والتوجيه ضربة قاصمة له ومكسبًا كبيرًا لخصمه اللدود فالنز.

أضيف عامل آخر مثل معول هدم لبروكوبيوس هو قلة حسه السياسي بأثر الجوانب الإنسانية في اكتساب أكثر المواقف تعقيدًا وأصعبها منالًا، ويبدو أن انتصاراته السريعة والمدوية قد أدخلته نفق الغرور المظلم، وندلل علي ذلك موقفه من سكان مقاطعات الشرق الذين آملوا في تغير نظام الحكم الجائر الذي أرهق كاهلهم بالضرائب والجبايات الباهظة فلو ألمح إليهم بروكوبيوس برفع هذا العبء عن كاهلهم لاستطاع أن يجتاح تلك المقاطعات بيسر دون مقاومة بل وبرغبة سكانها الأصليين، غير أن حاجة بروكوبيوس للسيطرة على مدن آسيا الصغري تطلبت منه نفقات لن تقدمها سوي تلك الجبايات المفروضة على تلك

المقاطعات، فقام بتشكيل عدد من أمهر الرجال في جباية الأموال فجعلهم يحسون كأنهم يستجيرون بالرمضاء من النار!! وصارت وحدة وقسوة بروكوبيوس تشبه السيف الصدئ (١٤١) في تنفيذ مآربه (١٤٢).

وفي الوقت الذي اشتد فيه بروكوبيوس قوة وصلابة، كان الإمبراطور فالنز يمر بمرحلة من اليأس والقنوط نتيجة الانتصارات المتوالية التي حققها خصمه بروكوبيوس، هنا يلعب أربيتو دورًا هامًا في إخراج فالنز من دائرة اليأس التي صنعتها الأحداث التي أحاطت به، وقام أربيتو بإرسال خطاب إلى شقيقه الإمبراطور فالنتينيان شارحًا له ما آلت إليه الأحوال وطالبًا منه الدعم، بيد أن رد فالنتينيان جاء صادمًا وبين فيه أنه لا يستطيع إرسال المساعدة لشخص غير قادر على الدفاع عن الإمبراطورية التي كُلف بها (١٤٣). ويبدو أن السبب الحقيقي وراء تقاعس فالنتينيان عن مساعدة أخيه فالنز انشغاله بالحرب مع الألاماني (١٤٤) الذين اجتاحوا الجزء الغربي من الإمبراطورية في ذات توقيت تمرد بروكوبيوس علي فالنز، مما تسبب ذلك في الموقف المتقاعس عن نصرة فالنز (١٤٥)، وتبلورت فلسفة موقف فالنتينيان في كون بروكوبيوس يهدد عرش فالنز فحسب، أما الألاماني فإنهم يهددون الإمبراطورية الرومانية كلها (١٤٦).

ثم لم تلبث أن قامت المواجهة الحاسمة بين فالنز وبروكوبيوس، وقد كانت تلك المواجهة قد دارت بالقرب من ناكوليا في فريجيا في ربيع عام ٣٦٦م، وقد سبقت تلك المواجهة عدة أمور قلبت موازين القوي لصالح فالنز، بل وصار سهم التحول والانضمام من قبل الكتائب في اتجاه فالنز، فانضم جنود بروكوبيوس إلي جيش فالنز كما سنتبين.

ففي تلك الفترة عمل فالنز علي ترتيب أوضاعه، وإعادة تنظيم جيوشه بقدر كبير من الفاعلية، وضم فرقة لوبيكينوس (١٤٧) إليه، ووجه تلك الجيوش نحو بيسينوس Pessinus بغلاطية Galatia(١٤٨)، وقام لوبيكينوس بتأمين تلك المنطقة تحسبًا لأي هجوم مفاجئ، وساروا علي طول سفح جبل أوليمبوس Olympus(١٤٩) بممرات غاية الصعوبة متجهين نحو ليكيا Lycia (١٥٠)

بهدف الهجوم علي قوات غوموناريوس التابعة لبروكوبيوس، والتي كانت تتفقد تلك المنطقة [١٥١].

وفي خضم تلك التحركات المتلاحقة كان بروكوبيوس لا يزال يتبع منهجه الذي يتغني فيه بأحقيته في الملك وشرعية حزبه، وكان يحمل معه دومًا ابنة قنسطنطيوس ، مصطحباًمعه ايضاً أمها فوستينا في كل بادرة سواء في سيره أو استعداده لمعركة المواجهة الأولي بينه وبين فالنز، مما أدي إلى إشعال حماس مقاتليه الذين يقدرون الانتماء الإمبراطوري لعائلة قنسطنطين العظيم، ولكي يقوض فالنز قواعد مناورة بروكوبيوس اندفع لاستقطاب أربيتو (القنصل السابق) إلى صفوفه ليعادل ذلك الموقف، وبالفعل أثمرت خطة فالنز بنتائجها المرجوة، فالجنرال أربيتو كان يخدم بالجيش منذ عهد الإمبراطور قنسطنطين وله من الخبرات العسكرية الكثير، فضلًا عن وقاره وتأثيره العظيم على نفوس القادة والجنود، فكان مجرد ظهوره على الساحة فحسب قد أوقف منزوح الأعداد الغفيرة من جيش فالنز التي كانت تتجه إلى جيش بروكوبيوس [١٥٢]، فضلًا عن الحماس الذي ألهب به نفوسهم، حين خطب فيهم مذكرًا إياهم بأن بروكوبيوس ما هو إلا مغتصب للعرش، ولا يحق له أن يصير إمبراطورًا. ومن عوامل نجاح أربيتو في مهمته ما تميز به من سمات شخصية حتي بدا كما لو كان أبًا للجنود قبل أن يكون قائدًا لهم، فكانت طاعته فرض عين عليهم. ومن هنا تحولت كفة الميزان لصالح فالنز، وفضل أغلب الجنود الانصياع للقائد أربيتو بدلًا من الخضوع لبروكوبيوس الذي اتضح لهم أنه سيسقط قريبًا[١٥٣].

وتأكيدًا على ما أسلفنا، بادر غوموناريوس بالتخلي عن بروكوبيوس واتجه بفرقته نحو معسكر فالنز في ثياتيرا Thyatira [١٥٤] زاعمًا بكونه تم أسره من قبل بروكوبيوس، حين أحاط به مجموعة من مناصريه واقتادوه إليه [١٥٥]. ويبدو أن توجه غوموناريوس ناحية فالنز يرجع لاستقرائه الخط البياني للأحداث، فقد استشعر أن الجولة التالية ستكون لصالح فالنز الذي نجح في ضم الشخصيات المؤثرة كأربيتو الذي يستطيع ضبط الأمور لصالحه.

قام فالنز بعد ذلك بالضغط الشديد علي فريجيا، في حين كان بروكوبيوس مرابضًا بمدينة ناكوليا Nacolia [١٥٦]، فدارت بينهما رحي الحرب، ولعبت الخيانة دورًا مثيرًا وحاسمًا في هزيمة بروكوبيوس وانتصار فالنز، ففي أشد أوقات المعركة حرجًا، قام أجيلو قائد قوات بروكوبيوس بالانسحاب من صفوف جيشه، وتبعته فرقته بالإنضمام إلي جيش فالنز في ضربة قاصمة تفتك بأي جيش مقاتل، وأعقب ذلك الانسحاب أن توجه العديد من جنود جيش بروكوبيوس برماحهم وسيوفهم ورياتهم، وقلب دروعهم نحو جيش فالنز [١٥٧]. مما أدي إلي انهيار الموقف القتالي لبروكوبيوس، فلولا هذه الخيانة لما تمكن فالنز من تحقيق الانتصار في هذه الموقعة، بل كان النصر سيصير حليفًا لبروكوبيوس، كما أكد المؤرخ إميانوس: "كانت المعركة موقع شك حتي خيانة أجيلو" [١٥٨].

وهنا أدرك بروكوبيوس أن مؤسسته العسكرية قد تقوضت أركانها، وانهارت دعائمها، وأن الخطوة التالية ستكون محاولة الإيقاع به، ومن هنا قرر الهرب إلى بساتين منطقة فريجيا وتلالها المجاورة، وتبعه في تحركه كل من فلورنتيوس Florentius [١٥٩]، والتربيون بركاليبا Barchalaba [١٦٠]، وقد أراد بروكوبيوس اللجوء إلى مكان أكثر أمانًا، غير أن شدة المخاطر وقلة الموارد قد أعاقت بغيته. وهنا تزيد أوتار الخيانة توثيقًا حيث غدر مرافقاه به، وقام كل منهما بتوثيقه ليقتاداه إلى مخيم فالنز [١٦١] لتكتمل خيوط الخيانة. مما حدا بالمؤرخ إميانوس بقوله بأن هذين القائدين قد تم الدفع بهما بداية للإيقاع ببروكوبيوس [١٦٢] وليس مجرد خيانة استدعتها الأحداث، إلا أننا نخالفه هذا الرأي الذي ذهب إليه، فمن خلال استقراء الأحداث يتبين أن انضمامهم لبروكوبيوس في البداية حين تيقنوا بأنه سيد الموقف، وقد صار إمبراطورًا فعليًا من خلال شعبيته التي ازدادت حتي فاقت شعبية فالنز آنذاك، أما حين انزاحت عنه رياح السلطة وتفلتت من كل مقومات المقاومة فلا غضاضة من التخلي عنه، بدلًا من تسليمه للإمبراطور فالنز لحصد بعض المكاسب السياسية

والحظوة لديه، فلو كان الأمر مغاير لوجهة النظر هذه لما قام فالنز بقتلهما. وهذا ما أكد عليه المؤرخ المحدث كوران Curran حيث ذكر أن رفاقه لم يجدوا حلًا لمعضلتهم، وأن الأمل الوحيد يكمن في تسليم بروكوبيوس لفالنز لإنقاذ حياتهم (١٦٣).

أما عن المصير الذي لاقاه بروكوبيوس عقب تسليمه لفالنز فقد ذكر إميانوس أنه بمجرد وصوله المعسكر بادر الإمبراطور فالنز بقطع رأسه (١٦٤) من فوره (١٦٥)، وإن كانت غالبية المصادر قد ذكرت طريقة أخري لمقتله، فذكروا أنه تم تثبيت كل ساق من جسده بجذع شجرتين متجاورتين، وتم إمالة كل جذع لأسفل بقوة ثم تركت كل منهما لتعود لوضعها بقوة هائلة أدت لشق جسد بروكوبيوس لنصفين، فكانت ميتة قاسية(١٦٦). ولو أن اختلاف الصورة التي قتل بها بروكوبيوس لا تفيد البحث في قليل أو كثير إلا أن ما يعنينا أن موته قد وضع حدًا للاضطرابات الداخلية للحرب الأهلية التي كادت أن تتزايد وتلوح نذرها في الأفق.

ثم لم يمهل فالنز القائدين فلورنتيوس وبركاليبا طويلًا ليهنئا بعيشهما، فقام بقتلهما مبررًا فعلته بكونهما قد خانا قائدهما بروكوبيوس، فلا غرو قيامهما بخيانة غيره، فإن من العدالة أن يحكم عليهما بالإعدام. فالبرغم من أن من خانوه هدد أمن دولته، ومثل عنصر التمرد والعداء لسلامة الوضع، فما صنعه معهما كان مثيرًا للجدل لأنه كان من المنتظر مكافأتهما جراء تعاونهما معه في التخلص من عدوه اللدود (١٦٧). ونري في تصرف فالنز منطقية لا غرابة بها حتي بمقاييس عصره، فمبرره القوي في ذلك أن من خان قائده في أحلك ظروف حاجته إليه يسهل عليه خيانة من دونه، فضلًا عن خيانتهما منذ بداية الأمر حين اتجهوا لصف بروكوبيوس، ومن ثم فيصعب الثقة بهما مرة أخري.

وكذلك قام فالنز بعدها بوقت قصير بإعدام مارسيليوس قريب بروكوبيوس، والذي تخلي عنه جنوده، فقد كان يقود حامية نيقية، وأعلن عن تمرده علي فالنز أيضًا، وقاد ثورة بأعداد قليلة وسيئة المستوي، والأدهي كونه

يحمل رداءًا أرجوانيًا منحه إياه بروكوبيوس سلفًا[١٦٨]، وكأن الأحداث السابقة تعيد نفسها مرة أخري.

فقد قام مارسيليوس بالهجوم علي القائد سيرينيونوس (من أتباع فالنز)[١٦٩]، والذي كان حبيس قصر نيقية، وقام بقتله [١٧٠]، عقبها توجه مارسيليوس إلي خلقدونية (الداعم الأكبر لبروكوبيوس)، ومن خلال قلة من الأهالي استطاع الاستيلاء على المدينة. ويمكن القول أن مارسيليوس قد حصل على ظل السلطة التي قتلته فيما بعد. ويبدو أن عدوي الغطرسة والفخر بالقوة الزائدة قد انتقلت إليه من سيده السابق الذي صار واثقًا بشدة من أنه سيحقق الفوز في النهاية، حيث توهم أمرين، أولهما، أن بمقدروه الحصول على دعم القوط كما حدث مع سلفه بروكوبيوس، وهو ما لم يتم معه. أما الثاني، كونه لم يتعلم مما حدث لبروكوبيوس في الليريكوم [١٧١].

وما يلبث الواقع أن يثبت صدق التوقعات، فقد أرسل الإمبراطور فالنز مجموعة من قواته العسكرية ذات الكفاءة العظيمة استطاعت أن تخمد تمرد مارسيليوس وتلقي القبض عليه، حيث أودع السجن لأيام، وما أن خرج منه ظهرت علي جسده آثار التعذيب التي تلقاه علي يد أعوان فالنز، وفي آخر الأمر قاموا بقتله [١٧٢]. ومجمل القول أنه تم إخماد ثورة مارسيليوس في مرحلة مبكرة.

علي جانب آخر، بالرغم من انتهاء الحرب بين فالنز وبروكوبيوس بموت الأخير إلا أن فالنز لم يتورع عن معاقبة الأطياف التي قامت بمساعدة بروكوبيوس، فشملت قائمة عقوباته أهالي مدينة فيليبوبوليس Philippopolis[١٧٣]، الذين تواطئوا مع بروكوبيوس، وظلوا علي صمودهم في الدفاع عنها دون السقوط في يد فالنز، حتي أبصروا بأعينهم رأس بروكوبيوس المقطوعة وهي تنتقل لبلاد الغال [١٧٤].

كما أقدم فالنز في خطوة تعسفية علي هدم أسوار مدينة خلقدونية [١٧٥] المواجهة لبيزنطة، حيث سبق أن أقسم على فعل ذلك لما أسلفناه عن إهانة

أهل خلقدونية له وانحيازهم لخصمه، فأراد أن يبر بقسمه وبالفعل نفذه وهدم السور، لكن طالبه أهالي القسطنطينية بوقف الهدم، لكنه أصر علي هدمه بالفعل تنفيذًا لقسمه، بيد أنه أعاد بناء السور مرة أخرى لكن بحجارة صغيرة(١٧٦).

وعلى الرغم من العقوبات الشديدة التي طالت أنصار بروكوبيوس، إلا أن بعضهم شملته شفاعة العفو عن طريق بعض الوسطاء أصحاب الحظوة عند فالنز، وكان من أبرزهم " أراكسوس " والذي شفع له صهره أجيلو فاكتفى بنفيه لإحدي الجزر النائية، لكنه استطاع بعد وقت قصير الهرب منها (١٧٧).

أما عن يوفراسيوس Euphrasius وفرانيميوسPhranamius ، فقد تم إرسالهما تجاه الغرب ليصيرا تحت تصرف الإمبراطور فالنتينيان، والذي بدوره قام بتبرئة ساحة يوفراسيوس، بينما أرسل فرونيميوس نحو خيرسونيوس حيث تم التنكيل به علي الرغم من أن الجرم الذي جمع بينه وبين يوفراسيوس واحد، وهو موالتهما للإمبراطور جوليان (أي حزب بروكوبيوس) (١٧٨).

ولو أشرنا إلي أدوات التعذيب التي تم استخدامها في تلك المرحلة فتمثلت في، الجلد والمخلعة (الضغط علي أطراف الشخص حتي تتفكك مفاصله، وتتمزق عضلاته سواء بربط الشخص الذي يتم تعذيبه بمجموعة من الخيول أو ربطه بلوح خشبي يقوم بذات الوظيفة) (١٧٩). والملفت للنظر أن زبانية فالنز لم يتورعوا عن استخدام تلك الأدوات علي كل أصحاب الرتب أو ذوي الثروات دون تمييز أو تفرقة للشخص الذي يتم تعذيبه، كما أن التعذيب كان يقع فيه الخلط بين الأبرياء والمذنبين. ووصلت تلك الفوضي إلي درجة أن يشكل الأمر على القائمين بالقصر الإمبراطوري فيدخل أحد المتمردين السابقين ولا تكتشف حقيقته ويعامل كصديق موثوق به، وقد يستولي علي متاع الأبرياء ويثري علي حساب الآخرين (١٨٠). وكان من الممكن توجيه حيثيات اتهام ضد برئ، ويمكن أن نرد أسباب تلك الفوضي إلي كون فالنز كان شديد الثقة بجواسيسه الذين قاموا بتضليله، وأبعدوه عن تحري الحقائق أو دقة الأخبار المنقولة (١٨١).

وهذا الأسلوب العنيد الذي اتشح به سلوك فالنز، والذي لا يخدم قضية عادلة وصم انتصاره بعارٍ كبير، لأنه عرض حياة الكثيرين من الأبرياء لبراثن التعذيب أو السحق بالمخلعة أو القتل علي يد الجلادين، بل وتعرض رجال من أصحاب الرتب العليا والحيثيات الاجتماعية للنفي والتنكيل والتي قد تبدو عقوبات مخففة بيد أنها ذات تأثير شديد علي تلك الطائفة، وقد وصل عار تلك الأحكام أن يقوم هؤلاء بتجريد بعض الشخصيات نبالة وضعهم نظرًا لما آل إليهم من إرث توارثوه كابرًا عن كابر، فيتم نهب هذا الإرث لصالح إثراء بعض الوضعاء في مشهد يتسم بالمهزلة الأخلاقية والسياسية ويتم نفيهم عقب ذلك ليرهقهم شظف العيش حتي اضطر بعضهم للنزول من عليائه إلي حضيض التسول. ولم يتم وضع حدًا لسياسة القمع وكأن الظلم الواقع علي الضحايا لم يشبع رغبة فالنز وزبانيته في النهب وإراقة الدماء [١٨٢].

كما لم يرتدع فالنز عن القيام بمعاقبة بعض شعوب البرابرة التي قدمت العون والدعم لبروكوبيوس من خلال ما استعرضناه سلفًا، فقد كان ثمة اتفاق بين بروكوبيوس وملك سكيثيا الذي قام بدعم تمرده بتقديم بعض الرجال الذين توغلوا بالأراضي الرومانية – وكانوا يجهلون بمقتل بروكوبيوس – مما أثار حفيظة أتباع فالنز، نظرًا لما صاحب اقتحامهم من الشغب واستفزاز كل من واجهوه، فأرسل فالنز إليهم قوة استطاعت أسرهم والزج بهم في السجون، وما أن علم ملك سكيثيا بالأمر حتي طالب فالنز بإطلاق سراحهم علي الفور، مبررًا موقفهم بأنه كان بناء علي الشروط التي شملتها المعاهدة التي كانت بينه وبين من كانت له السيادة وقتئذ (ويعني بروكوبيوس) [١٨٣]. إلا أن رد فالنز جاء صادمًا لملك سكيثيا، فقد جاء الرد بأن بروكوبيوس لم يكن إمبراطورًا، فلا وجود لمعاهدة بينه وبين السكيثيين ليلتزمها، فقام ملك سكيثيا بتبرير موقفه بأن ما قدمه من مساعدة إنما لقرابة بروكوبيوس من الإمبراطور جوليان، غير أن فالنز لم يأبه بهذا الرد، وأصر علي موقفه الصارم في اعتبار أن تلك التعزيزات العسكرية من سكيثيا ما هي إلا مجموعة من الأعداء اخترقت الأراضي والسيادة

الرومانية، ومن ثم فاحتجازهم يتكئ علي سند قانوني. ويبدو أن تقدير فالنز وتعاملاته مع هذا الشأن لم يكن علي مستوي الحدث، وأنه افتقد للباقة السياسية فلم يقدر حجم قوى هذه الشعوب، مما تسبب في إشعال فتيل الحرب السينية[١٨٤]. وأخذ فالنز يجهز الاستعدادات لخوض غمار تلك الحرب، فقام بنشر جيشه علي ضفة نهر إستير Ister (دنيستر حاليًا) [١٨٥]، وكان قائد الجيش أوكينيوس Auxonius [١٦٨] قد أخذ في تجهيز العدة لذلك الأمر، فقام بجمع الجزية، واشتري العديد من سفن النقل ليحمل عليها المؤن والعتاد اللازمة للجيش متجهين عبر بحر إيوكسين إلي مصب إيستر [١٨٧]. أما الإمبراطور فالنز فقد تمركز في ماركينوبوليس Marcianopolis [١٨٨]، حيث كان يبدي اهتمامًا كبيرًا بانضباط الجيش وإمدادات المؤن، وما لبث أن انتقل من ماركينوبوليس إلي سكيثيا مصطحبًا جنوده المرابضين علي نهر إيستر، فأمر بالهجوم علي البرابرة، فلما وجد فالنز تقاعسًا من جنده في الهجوم علي البرابرة والالتحام بجيوش السكيثيين، لجأ إلي تحفيزهم بأن وعدهم بالمكافأت والأموال لكل من يأتي بيده رأس بربري، كما أوعز لهم بالتقدم عبر الأحراش والغابات دون خوف وقتل كل من يواجههم [١٨٩]. فكان لهذا الصنيع الأثر الكبير في إلهاب حماس جنوده ورفع معنوياتهم، فقتلوا أعدادًا غفيرة من السكيثيون مقدمين رؤوسهم لفالنز لنيل المكافأت المالية التي وعدهم بها. وينتهي الأمر بالتسوية بين فالنز والسكيثيون، بطلب السكيثيون الهدنة بين الطرفين، ثم عقدت معاهدة سلام بينهما تعهد فيها السكيثيين بألا يعبروا نهر إيستر، وعاد فالنز إلي القسطنطينية آمنًا [١٩٠].

وهنا اتجه نظر فالنز إلي القوط الغربيون لتدعيمهم سلفًا لبروكوبيوس، بل وزاد الأمر بأن هددوه باحتلال تراقيا عن طريق أراضيهم شمال الدانوب، فأعد الحملة لقتالهم بناء علي أمر من فالنتينيان الذي كان " يحكمه بالكامل بإرادته"[١٩١]. فقد اعتبر فالنتينيان إقرار القوط بمساعدة بروكوبيوس خرقًا للمعاهدة التي وقعت بينهم وبين الإمبراطور قنسطنطين عام ٣٣٢م، بيد أن

الإشكالات التي ميزت العلاقة الرومانية – القوطية تعود إلي عهد بعيد إلي فترة جوليان، ففي عام ٣٦٢م قد تعامل معهم بإزدراء واستخفاف رافضًا مبدأ التفاوض، معلنًا لهم " إنه فقط من خلال الحرب سيؤمنون ظروف أفضل لهم ". وكان بروكوبيوس آنذاك يقوم باعتراض وعرقلة الوحدات القوطية التي تشق طريقها نحو تراقيا [١٩٢]. وقد حاول القوط في عام ٣٦٦م تبرير موقفهم بإدعاء أن بروكوبيوس قد أثبت انتماءه لسلالة قنسطنطين العظيم، وكان لهذا الاعتذار أهمية كبيرة، غير أن فالنز قرر بالفعل القيام بعمل عسكري وقائي لتأمين حدود الدانوب، وقد خاض سلسلة من الحملات من عام ٣٦٧م إلي عام ٣٦٩م استطاع جنرالات فالنز تحقيق بعض النجاحات الهامة. ونظرًا لانشغال فالنز في حروب مع الفرس، اضطر لعقد معاهدة سلام مع القوط الغربيون عام ٣٦٩م كانت مدتها ست سنوات، تعهد فيها أثاناريك Athanarich ملك القوط الغربيين حينها (٣٦٩ – ٣٨١م) بألا تطأ أقدامه الأراضي الرومانية، واعتبر تلك المعاهدة نهر الدانوب هو الحد الفاصل بين الأراضي الرومانية وأراضي القوط، ومن ثم كان لابد من التزام القوط بعدم اختراق نهر الدانوب [١٩٣].

**الخاتمة :-**

تتبعت هذه الدراسة حركة بروكوبيوس التمردية ضد الإمبراطور فالنز، والتي تعد من أبرز وأشد القلاقل الداخلية التي واجهته. وقد أوضحت الدراسة النقاط التالية:

- أن نجاح حركة بروكوبيوس في البداية يرجع إلى استغلاله فرصة انشغال الإمبراطور فالنز بالمنازعات الخارجية للقيام بثورته.
- أن من عوامل نجاح تلك الحركة، تدني شعبية فالنز بين مواطنيه لإسرافه في فرض الضرائب الباهة عليهم، مما أوجد ظاهرة من الغضب العارم من سياسته.
- اللعب علي وتر أرستقراطية منبت بروكوبيوس واتكائه بشدة على قرابته من الإمبراطور جوليان المرتد ليخلب بها نفوس العامة ظنها بروكوبيوس عاملًا

هامًا يكتب النجاح لثورته.

- الاعتماد على مظاهر شكلية مهما كانت قوة تأثيرها (نبالة الأصل وصلة القرابة بالإمبراطور) دون الاستناد لخطوات عملية قوية تدعم أسس الحكم تؤدي لفشل حركة بروكوبيوس.
- طول خدمة بروكوبيوس بالجيش الإمبراطوري أكسبته خبرات عسكرية، وكون من خلالها صداقات قوية أفادته بعد ذلك في حركته التمردية ضد الإمبراطور فالنز.
- قدرة بروكوبيوس البليغة في الخطابة كانت من عوامل نجاح حركته نظرًا لتأثيرها الشديد علي النفوس، فاستطاع من خلالها استقطاب القادة الذين يخدمون في صفوف جيش فالنز.
- عدم وجود التخطيط لخطوات ما بعد نجاح الثورة، واصطناع صف ثانٍ من وجوه جديدة للقيادات يحول دون تقوية الجبهة الداخلية، وقمع حركات التمرد التي يمكن أن تلوح في الأفق.
- الاعتماد على أصحاب الثقة دون الكفاءات الحقيقية يؤدي لتفشي المحسوبية والرشوة، مما يسهم في تقويض حركة بروكوبيوس الثورية.
- القراءة الجيدة للموقف السياسي يسهم في إنجاح الثورة، فقد أدرك بروكوبيوس أن شقيق فالنز لن يستطيع نجدته وتدعيمه لانشغاله بمحاربة الألاماني.
- كذلك القراءة الجيدة للسياسة الخارجية واستغلال بروكوبيوس لمطامع القوط في دعم حركته بغطاء من كونهم يدعمون نبيل يمت بالصلة للإمبراطور جوليان.
- من عوامل فشل حركة بروكوبيوس عدم قراءته خارطة المتغيرات السياسية بصورة جيدة، وعدم سرعة التعامل معها وتوقعها، أسهم في تلقيه ضربات مباغتة وقاتلة.
- الإحساس بقوة السيطرة يؤدي لتفشي ظاهرة الغرور لدى الحاكم، وتحوله عن

إحساس النمط السلوكي الذي التف حوله مناصروه يؤدي بالتبعية إلي سقوط التأثر من أعين داعيه. كما حدث من بروكوبيوس في التعامل مع بعض تابعيه. حاله فيها صنيع فالنز.

- من يُشتري ولاءه يتحول آخره لمن يدفع أكثر، وتكون خيانته قاتلة. كما حدث من القادة الذين انضموا لفالنز، كاشفين جبهة بروكوبيوس ومعرضينه لخطر شديد.
- وجود ظاهرة العقاب الجماعي من قبل الإمبراطور فالنز ضد الطوائف التي دعمت بروكوبيوس والقادة الذين ناصروه.

## الهوامش:

(١) ولد فالنز عام ٣٢٨م،فى كيبالاى فى بانونيا وكان ضابطًا منخفض الرتبة في عهد الإمبراطور جوليان المرتد، وكذلك في عهد جوفيان، فقد كان قائمًا علي الاصطبلات الملكية (سيد الخيول)، فلما أن تولى شقيقه فالنتينيان الأول (٣٦٤م – ٣٧٥م) عرش الإمبراطورية رشحه ليكون شريكًا له في الحكم، علي أن يتولى حكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية، إلا أنه تعرض للمشاكل الداخلية علي رأسها تمرد بروكوبيوس عام ٣٦٥م، إلي جانب مؤامرة ثيودوروس عام ٣٧١م. وقد وقع معاهدة سلام مع القوط الغربيون عام ٣٦٩م، فقد كان قد أعطى الإذن في ٣٧٦م لعدد كبير من القوط الغربيون ليستقروا في تراقيا فرارًا من الهون، إلا أن القوط قابلوا هذا المعروف بالتمرد وتخريب تراقيا، فتوجه فالنز غربًا آملًا في هزيمة البرابرة بمساعدة غراتيان ابن أخيه. في نهاية الأمر تمت هزيمته وقتل حرقًا في معركة أدريانوبل عام ٣٧٨م. وكان الإمبراطور فالنز مسيحيًا أريوسيًا، دخل المسيحية بتأثير زوجته دومنيكا، وبسبب أريوسيته شهد عهده اضطهادًا عقائديًا للأرثوذكس. انظر، Ammianus Marcellinus, The Roman history, The emperors Constantius, Julian, Jovianus, Valentinian, and Valens, trans. Yonge. C.D., London, 1894, p.405; Egeria, The Pilgrimage of S. Silvia of Aquitania to the Holy Places, (circ. 385 A.D.) Trans., Bernard, J. H., London, 1896, p.4; Jordanes, The Origin and deeds of the goths, trans., Mierow, C. C., princeton University, New jersey, 1908, p.43; Constantine Porphyrogennetos, The book of ceremonies, Vol. I, trans. Moffatt, A., and Tall, M., Bonn, 1829, p.812; History of the Christian church, Vol.III, ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Christianiry, A.D. 311-600, New York, 1989, p.45; Hilary of Poitiers, John of Damascus, ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Father, Edinburg, 1898, p.73; Gregory, T.E., Valens, ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University press, 1991, p.2149 – 2150.

(٢) ولد عام ٣٣١م، وحكم الإمبراطورية البيزنطية لمدة ثمان أشهر فقط، توفى في ١٧ فبراير عام ٣٦٣م فجأة في داستانا Dastana (مدينة في بيثينية)، وهو في طريقه إلي القسطنطينية. وقد تضاربت الآراء حول وفاته، فالبعض ذكر أن وفاته كانت بسبب تناوله عشاء متخم، والبعض أسند الوفاة إلى أن الغرفة التي نام بها كانت قد تم طلاؤها حديثًا بجير غير مطفي، بالإضافة إلى كميات من الفحم المشتعل فيها خلال فترة الشتاء للوقاية من البرد، مما جعل الجدران سامة ورطبة للغاية. انظر، سوزومين، التاريخ الكنسي، ترجمة تشستر هارترانفت، تعريب الأب بولا ساويرس، مراجعة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير الأنبا مقار)، سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ط.١، ٢٠١٧م، ص٥٠٤ ؛ John of Fordun, Chronicle of the Scottish nation, the historians of Scotland, Vol. IV, trans. Fellx. J. H., Skene

Edinburgh Edmonston and Douglas, 1872, p.73.

(3) Alexander, P. J., Byzantine Apocolyptic, Berkeley, Los Angeles and Calfornia, 1985, p.145.

(٤) ولد الإمبراطور فالنتينيان في كيبالاي Cibalae في بانونيا، وتوفى في بريجيتو ببانونيا في ١٧ نوفمبر عام ٣٧٥م، وكان ضابطًا في الأساس بجيش جوليان المرتد، وقد وجهت إليه تهمة التقصير في قيادة الجنود التي تحت إمرته، ومن ثم قام الإمبراطور بنفيه إلى ميلتين Melitine (في أرمينيا) لكن بعد وفاة جوليان، وتولى الإمبراطور جوفيان الحكم، استدعاه من منفاه وحاز ثقته، فلما توفي جوفيان رُشح بإجماع الجنرالات والمسئولين كإمبراطور، فقام بتقسيم إدارة الإمبراطورية قسمين بينه وبين شقيقه فالنز، علي أن يدير هو الجزء الغربي منها، ويقيم في ميلانو وترير Trier، ويدير فالنز القسم الشرقي من الإمبراطورية. انظر، سوزومين، الكنسي، ص٥٠٥ ؛ Hilary of Poitiers, Nicene, p.65; Gregory, T.E., Valentinian, ODB, p.2150.

(5) Alexander, Byzantine, p149; John of Fordun, Chronicle, p.73.

(6) Morgan, G., Byzantium, Capital of ancient empire, Bocket essentials, 2007, p.42; Millor, F., Rome the Greek world and the east, Vol. 2, North Carolina University press, 2004, p.193.

(7) Theophanes Confessor, The Chronical of Theophanes Confessor (Byzantine and near Eastern History – AD 248-813), translated by, Mango, C., and Scott, R., with Greatrex, G., Oxford, 1997, p.85; Asoure, Book of Madevial history, ed. Ogg. F. A., London, 1907, p.35.

(8) Ammianus Marcellinus, The Roman history, Vol. II, trans. Rolfe. J. C., Harvard University press, Cambridge, Massachusetts, London, 2000, p.601.

د.ياسر مصطفى عبد الوهاب،ثورة بروكوبيوس فى القسطنطينية ٣٦٥-٣٦٦ وأثارها على مصر، جولية التاريخ الإسلامى والوسيط، العدد العاشر٢٠١٥-٢٠١٦،كلية الأداب جامعة عين شمس، ص٣٥٥-٣٧٥، ص٣٦٠

(٩) Ammianus Marcellinus, Roman, Vol. II, p.609.

(١٠) لقد كشفت هذه الكاهنة بأن هذا الرجل إما يدعي ثيودوسيوس Theodosius أو ثيودوروس Theodorus أو ثيودونوس Theodonus. وكان فالنز مرتابًا من بعض الأشخاص المحيطين حوله ويحملون هذا الاسم، لذلك قام بإعدامهم جميعًا. انظر، Zonaras, The history of Zonaras, trans, Bancbieb, T. M., and Lan, E. N., London, New York, 2009, p.182.

(11) Theophanes, Chronical, p.96.

(12) Zonaras, history, p.182.

(13) Ammianus Marcellinus, Roman, p.413.

(١٤)استولي شاهنشاه بلاد فارس الملك " شابور الثاني " على الأراضي الممنوحة له بموجب هذه المعاهدة، مع الابتعاد عن أرمينيا التي تركت لتمديد ولاءتها الخاصة في أعقاب هدنة عام ٣٦٣م، غير أنه بعد ذلك بحوالي ثلاث سنوات بدأ شابور في التعدي علي أرمينيا تدريجيًا من خلال الخداع والدعم الأرميني ذاته. انظر، Lenski. N., The

Chronology of Valens Dealings with Persia and Armenia, 364-378 C.E, in, Ammianus after Julian, The Regin of Valentinian and Valens, in books 26 – 31 of the Res Gestae, ed. Boet. J., Drivers, J. W., Hengst, D., and Teitler. H. C., Leiden, Boston. 2007, pp. 95 - 128, p.97.

(15) Zosimus, The History of Count Zosimus, sometime advocate and Chancellor of the Roman Empire, translated by, G.J.Vossius, Green and Chaplin, London, 1814, p.65.

(١٦)ولد بروكوبيوس في قيليقية عام ٣٢٦م، وتوفى بفريجيا عام ٣٦٦م، وهو ابنا لاحد القادة العسكرين وشقيقاً لباسيلينا ام الإمبراطور جوليان عن عمر يناهز الأربعين عام وعشرة أشهر، وقد نشأ وتلقى تعليمه بنفس المدينة، وكان جسيمًا طويل القامة، ولم يكن سئ المظهر، واتسمت شخصيته بالزرانة وثقة واسعة بالنفس، والملفت للنظر أنه لم يُشاهد ضاحكًا في حياته ولو لمرة واحدة، كما لم يلطخ بشفك الدماء طيلة مسيرته. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, Vol. II, p.640; Gregory, T.E., Prokopios, ODB, p.1731.,

د. ياسر مصطفى عبد الوهاب، ثورة بروكبيوس فى القسطنطينية ٣٦٥-٣٦٦م وأثارها على مصر، ص٣٥٨

(١٧)لقب شرفي وهو مسئول رفيع المستوي في الإدارة الإمبراطورية، وصاحب هذا اللقب من المقربين من الإمبراطور ويتدخل بمقتضاه في معظم شئون الدولة، ويطلق هذا اللقب أيضًا علي كثير من الشخصيات الهامة. انظر، Porphyrogennetos, ceremonies, Vol. II, p.588, 834.

(18) Bury, J. B., The Imperial Administrative system in the Ninth century, London, 1911, p.39.

(19) Ammianus Marcellinus, Roman, p.416, 417, 428; Malalas, The Chronicle of John Malalas, translated by, Jeffreys, E., Jeffreys, M., and Scott, R., Australian Association for Byzantine Studies, BYZA 4, Melbourne, 1986, p.302.

(٢٠)فوجئ الإمبراطور جوليان بوصول فرسان العدو، وندب بروكوبيوس ليقود ثلاثون ألف رجلًا، مع أوامر أن يحتفظوا بجانبهم من نهر دجلة، كما أمرهم بالإنضمام للملك آرساسيس أحد ملوك الفرثيين ليساعدوه في حالات الضرورة. وصل بعد ذلك جوليان إلى النهر إلى أن لاقي قبائل العرب هناك الذين جاؤوا إليه راكعين حاملين له تاجًا ذهبيًا على اعتباره سيد العالم وشعوبه، حينها وصل الأسطول البيزنطي إلى الإمبراطور والذي يعادل في قوته قوة الأسطول الفارسي لكن بعد مسيرة ٦ أيام تعثر الجيش في مسيره لنقس المؤنة، إلا أن الدوق كاسيانوس جاء إلى معقل فارسي يدعي أور UR، وجلب من هناك الإمدادات والمؤن التي كان سبق وتركها بروكوبيوس هناك. وبعد ذلك عندما توفى الإمبراطور جوليان إثر إصابته ببعض الجروح أثناء حروبه مع الفرس، تم إرسال بروكوبيوس أمين سر الدولة إلى بلاد الغال للإعلان عن وفاة جوليان المرتد،

وتعيين جوفيان خلفًا له. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.321, 325; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol. II, p.541, 555, 559; Hunt, D., Julian, Cambridge Ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., and Garnsey, P., Cambridge University press, 2008, pp.44 - 77, p.75 – 76.

(٢١)كان قائدًا عسكريًا في مصر، ثم ترقى إلي رتبة كونت. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, Vol. II, p.75.

(22) Ammianus Marcellinus, Roman, p.541, Malalas, Chronicle, p.179.

(٢٣)الليريكوم: مقاطعة رومانية في الجزء الشمالي الغربي من البلقان، Pritsak, O., Illyricum, ODB, p.987.

(24) Ammianus Marcellinus, Roman, p.369.

(25) Zonaras, history, p.236; Curran, J., From Jovian to Theodosius, Cambridge ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.78 – 110, p.89.

(٢٦)دفن جوليان المرتد بالقرب من قبر ماكسيميانوس بن جاليريوس، ثم تم نقله ودفنه في القسطنطينية في كنيسة الرسل القديسين. انظر، Zonaras, history, p.236

(27) Ammianus Marcellinus, Roman, Vol. II, p.555.

(28) Lee, A. D., The army, Cambridge ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.211 – 237, p.228.

(29) Lee, army, p.228.

(30) Scoot,Roger.Blockley Ed .The Fragmentary classicising historians of the later roman empire;Eunapius,Olympiodorus,Priscus and Malchus.2.Text, translation and historiographical Notes.Liverpool; F. Cairns, 1983, p.51; Politics, Philosophy and empire in the Fourth century select orations of Themistius, trans, Heater, P., and Moncur, D., Liverpool University press, 2001, p51; Orton, C.W., The shorter, Cambridge University press, 1952, p.57.

(31) Ammianus Marcellinus, Roman, p.320; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol. II, p.599.

(32) Curran, Jovian, p.89.

(٣٣)أديابين أو حدياب، منطقة في بلاد فارس، وكانت مملكة قديمة شبه مستقلة موالية للبارثيين شمال بلاد الرافدين ما بين ١٥ – ١١٦م، حيث استمر حكمها حوالي قرن من الزمان. كانت عاصمتها في مدينة أربانيك (أربيل حاليًا). كان معظم سكان المملكة من الآشوريين الذين اعتنقوا المانوية والمسيحيةفي القرون اللاحقة، بالإضافة إلي أعداد من اليهود والفرس والزرادشتيين، ومن أشهر حكام المملكة " الملكة هيلينا الحديابية" التي اعتنقت الديانة اليهودية في القرن الأول الميلادي، والتي انتقلت إلي أورشليم حيث أنها قد مكثت هناك مع ابنها "موناباز الثاني" فترة قبل وفاتها هناك. انظر، www.cambridge.org ; www.ironicaonline.org

(٣٤)كانت صورة الجلالة للإمبراطور لابد وأن تكون بعيدًا عن بقية البشر، لذلك حرص الأباطرة على ارتداء ثوب يميزهم عن الآخرين فكان هذا الثوب " رادء أرجواني " وتاج

مرصع بالجواهر، ومن ثم فقد لعب هذا الزي دورًا كبيرًا في تمثيل الملكية الرومانية وأصبح ثوب الإمبراطور رمزًا أساسيًا للحكم. وقد كان الاحتكار الإمبراطوري لصبغ ونسج القماش الأرجواني يُحرس بغيرة، واعتبرت الحيازة الغير مصرح بها دليلًا علي الخيانة. وتدليلًا على ذلك، أنه في منتصف خمسينيات القرن الرابع تم تدمير مالك أرض ثري بعد الكشف عن أن أغطية طاولته وأغطية الأريكة لها حدود أرجوانية واسعة يمكن طيها لتشبه العباءة الإمبراطورية. انظر، Kelly, C., Emperors, governmen and bureaucracy, Cambridge ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.138 – 183, p.144.

(35) Zosimus, History, p.65.
(36) Ammianus Marcellinus, Roman, p.393.
(37) Curran, Jovian, p.89.
(38) Zosimus, History, p.65.
(39) Ammianus Marcellinus, Roman, p.389, 417.

(٤٠)مدينة في كبادوكيا. انظر، Zosimus, History, p.65

(٤١)مستعمرة يونانية قديمة أسسها الدوريون اليونانيون في القرن الخامس قبل الميلاد على الشواطئ الشمالية للبحر الأسود. في القرن الثالث الميلادي عرف الموقع بأنه مركز النبيذ الأكثر انتاجًا في البحر الأسود، وظلت مركزًا للتبادل التجاري بين الإمبراطوريات اليونانية والرومانية والبيزنطية وسكان شمال البحر الأسود. انظر، www.whc.unisco.org

(42) Zosimus, History, p.65.
(43) Ammianus Marcellinus, Roman, p.417.

(٤٤)كان الإمبراطور جوفيان يقوم بإرسال بعض الجواسيس تباعًا للبحث عن بروكوبيوس، ولكن مظهره غير المهذب ونحافته صعبت من مهمتهم في العثور عليه. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.601

(٤٥) Ammianus Marcellinus, Roman, p.417.

(٤٦)كان ستراتجيوس ضابطًا في البلاط الإمبراطوري، ثم أصبح سيناتور في مجلس السناتو. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.418; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.601.

(47) Ammianus Marcellinus, Roman, p.418.
(48) Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.603.
(49) Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.605.
(50) Lenski, chronology, p.97.
(51) Ammianus Marcellinus, Roman, p.605; Treadgold, W., A history of the Byzantine state and society, Stanford, California, 1997, p.64.
(52) Ammianus Marcellinus, Roman, p.605.

(٥٣)فيلق ديفيتنسيس: هو الفيلق الغالي (الغال) الثالث من الجحافل الملكية. www.lukeuedasarson.com

(٥٤)فيلق تونغرينكي: فيلق روماني يعود إلى فترة الإمبراطورية الرومانية المتأخرة، الاسم

مشتق من توغر وهم ممن سكان بلاد الغال، ويشير أيضًا إلى التمركز المحتمل للوحدة بين هؤلاء الناس. www.lukeuedasarson.com

(55) Ammianus Marcellinus, Roman, p.419.
(56) Ammianus Marcellinus, Roman, p.419.

(٥٧)حمامات أنستازيا: سميت بهذا الاسم نسبة إلى أنستازيا أخت قنسطنطيوس. Ammianus Marcellinus, Roman, ٤١٩

(٥٨)وقد شبه أميانوس هؤلاء الجنود المرتزقة بالقادة البرايتوريين الذين بعد وفاة الإمبراطور بيرتيناكس Pertinax (إمبراطور روماني حكم مدة ثلاثة أشهر فقط من ١ يناير حتي ٢٨ مارس عام ١٩٣م) والذي حاول أن يعيد الانضباط في الحرس البرايتوري، ولكن تمردوا عليه وقتلوه، وقبلوا تعيين ديديوس جوليان إمبراطورًا لهم، لأنه قدم عرض أعلى. Ammianus Marcellinus, Roman, p.419 - 420.

(59) Ammianus Marcellinus, Roman, p.144.
(60) Kelly, Emperors, 144.
(61) Ammianus Marcellinus, Roman, p.420.
(62) Kelly, Emperors, 144.

(٦٣)على النقيض من ذلك، كان الإنقلاب الناجح للإمبراطور جوليان عام ٣٦٠م أمرًا جيدًا ومكتوبًا بعناية على تعجب قواته، حيث ظهر مرتديًا عباءة من الأرجوان، وإكليل مرصع بالجواهر نفسه مزين باللؤلؤ المأخوذ من البحر. Kelly, Emperors, 144.

(64) Ammianus Marcellinus, Roman, p.420; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.605.
(65) Theophanes, Chronical, p.88.
(66) Ammianus Marcellinus, Roman, p.420.
(67) Ammianus Marcellinus, Roman, p.421; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.609.

(٦٨)أوجنيوس: كان أحد خصيان القصر الإمبراطوري، وكانت له علاقة ليست بالقليلة مع الأباطرة فالنز وفالنتينيان الأول. Zosimus, History, p.65 - 66

(69) Zosimus, History, p.66.
(70) Ammianus Marcellinus, Roman, p.421; Politics, Philosophy, p.36.
(71) Ammianus Marcellinus, Roman, p.421.

(٧٢)صفرنيوس: كان سكرتيرًا ثم أصبح حاكمًا للقسطنطينية فيما بعد. Ammianus Marcellinus, Roman, p.421

(٧٣)غلاطية: كانت تعرف باسم غالو غراسيا Galo – Graecia. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.424.

(74) Ammianus Marcellinus, Roman, p.421.
(75) Curran, Jovian, p.89.
(76) Curran, Jovian, p.89.
(77) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422.
(78) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422.

(٧٩)نيبردنيس: عُين حاكمًا برايتوريًا بدلًا من سالوست Sallust. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.422.

(٨٠)القائد أو الحاكم البرايتوري: كان منصب شديد الأهمية في الإمبراطورية الرومانية، كان يتولى صاحبه بالأصل قيادة الجيش الإمبراطوري قبل أن يتطور المنصب لتتضمن مسئولياته صلاحيات قانونية وإدارية عالية جدًا، وليصبح القائد البرايتوري أحد أهم مساعدي الإمبراطور، وقد جرد القائد البرايتوري من العديد من صلاحياته في عهد الإمبراطور قنسطنطين العظيم، فحوله من سلطة عسكرية هائلة إلى منصب مدني إداري بحت. وفي الفترة اللاحقة لعهد قنسطنطين ظهرت تقسيمات إدارية جديدة للدولة سميت الولايات الإمبراطورية، وأصبح القائد البرايتوري صاحب السلطة العليا المسئولة عن إدارة هذه الولايات، فبات أشبه بمنصب رئيس وزراء الدولة، وقد ظل الأباطرة البيزنطيون ينصبون القادة البرايتوريين لتولي هذه المناصب حتي عهد هرقل، عندما أجريت تغيرات عديدة في نظام الحكم سحبت من القادة البرايتوريين معظم صلاحياتهم ليصبحوا أشبه بمراقبين علي كيفية إدارة ولايات الإمبراطورية. Kelly, C., Ruling the later roman empire, Harvard University press, p.2004, p.41.

(81) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422.
(82) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422 – 423.
(83) Ammianus Marcellinus, Roman, p.423.
(84) Curran, Jovian, p.90.
(85) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422.
(86) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.615.
(87) Ammianus Marcellinus, Roman, p.423.

(٨٨)فوستينا زوجة قنسطنطيوس الثانية، انظر، Politics, Philosophy, p.146.

(٨٩) Politics, Philosophy, p.146; Curran, Jovian, p.90; Venning, T., A chronology of The Byzantine Empire, Palgrave Macmillan, Great Britain, 2006, p.23.

(90) Politics, Philosophy, p.146.
(91) Ammianus Marcellinus, Roman, p.423.

(٩٢)قائد القوات العسكرية في الليريكوم. Ammianus Marcellinus, Roman, p.423.

(93) Ammianus Marcellinus, Roman, p.423.
(94) Curran, Jovian, p.90.

(٩٥)داكيا: الإقليم الشمالي من أسفل ووسط الدانوب. Kazhdan, A., Dacia, The Oxford Dictionary, Dumbarton Oaks Papers, 3Vols, Oxford University Press, 1991, p.577.

(٩٦)سوتشي: مدينة تقع في إقليم كراستودار كراي (في روسيا الاتحادية حاليًا)، تمتد المدينة علي طول ساحل البحر الأسود عند سفح الجزء الغربي لسلسلة جبال القوقاز الرئيسية. www.britannica.org

(٩٧)أكونتسيما: كانت مستوطنة في مقدونيا القديمة بالقرب من حدود تراقيا والتي تكونت من الساحل الجبلي الممتد شرقًا من كافلا Kavala. www.perseus.tufts.edu

(98) Ammianus Marcellinus, Roman, p.424.
(99) Ammianus Marcellinus, Roman, p.424.

(١٠٠) ماجديوس: تقع علي نهر سانغاريوس (في تركيا حاليًا). Curran, Jovian, p.90.

(101) Ammianus Marcellinus, Roman, p.424.

(102) Ammianus Marcellinus, Roman, p.425.

(103) Ammianus Marcellinus, Roman, p.425.

(١٠٤) التربيون رومتيالكا: كان يعمل مع حرس القصر، ومن ضمن بلاط الإمبراطور فالنز. Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.663.

(١٠٥) هيلينوبوليس: عرفت سابقًا باسم دريبانا Dereponun، وكانت بلدة يونانية رومانية وبيزنطية قديمة، ومطرانية في بيثينيا بآسيا الصغري، علي الجانب الجنوبي من خليج أستيكوس، وقد أطلق عليها اسم هيلينوبوليس نسبة إلي القديسة هيلين والدة الإمبراطور قنسطنطين العظيم. لأن هذه البلدة تعتبر تقليديًا مسقط رأسها. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.425; www.newadvent.org

(106) Ammianus Marcellinus, Roman, p.425.

(١٠٧) كان في السابق دوقًا وملكًا للألاماني. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.425.

(١٠٨) ساباريوس: ساباي Sabi هو مشروب مصنوع من الشعير أو الحنطة يستخدم من قبل الفقراء في الليريكوم، والتي ينحدر منها فالنز. انظر، سقراتيس سكولاستيكوس، التاريخ الكنسي، ترجمة إيه. سي. زينوس، تعريب الأب بولا ساويرس، مراجعة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير الأنبا مقار) سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ط.١، ٢٠١٧م، ص٤٤٠ ؛ Ammianus Marcellinus, Roman, p.425

(١٠٩) سقراتيس، الكنسي، ص٤٤٠ ؛ Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.624

(110) Ammianus Marcellinus, Roman, p.425.

(١١١) أنقيرة: تقع في غلاطية. للمزيد انظر، مجموعة الشرع الكنسي، جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنانيا الياس كساب، دار منشورات النور، ط.٢، بيروت ١٩٩٨م، ص١٢٤.

(112) Curran, Jovian, p.90.

(١١٣) في هذه الأثناء كان فينوستوس Venustus (ضابطًا في خزانة الدولة) فقد تم إرساله إلى نيقوميديا لدفع رواتب الجنود الذين كانوا مشتتين في الشرق، فما أن أدرك بتلك الكارثة أحس بأن الوقت لا يلائم تنفيذ مهمته، فتم إرساله علي عجل نحو سيزيكوس بالمال الذي كان بحوزته، انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.426

(١١٤) أرينثيوس: كان من أفضل جنرالات فالنز. Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.622

(١١٥) داداستانا: كانت مدينة داخلية في بيثينية القديمة (تقع في تركيا حاليًا). www.perseus.tufts.edu

(١١٦) هايبرتشيوس: كان مسئولًا في السابق عن لوزام القائد (أي خادم له). وكان صديقًا لبروكوبيوس لذلك كلفه بقيادة مجموعة من أتباعه. Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.627

(١١٧) Ammianus Marcellinus, Roman, p.426.

(١١٨) مارسيليوس: كان ضابط في الحرس الإمبراطوري، وقريبًا لبروكوبيوس. Ammianus Marcellinus, Roman, p.431.

(١١٩) سيرينيونوس: كان قائد في الحرس الإمبراطوري. Ammianus Marcellinus, Roman, p.431

(١٢٠) سيزيكوس: بلدة قديمة في إقليم ميديا في آسيا الصغري، وتقع علي الجانب المتجه نحو الشاطئ في شبه الجزيرة الحالية المسماه كابو داغ والتي قيل بأنها كانت أصلًا جزيرة في بحر مرمرة. www.livius.org

(121) Zosimus, History, p.66.
(122) Ammianus Marcellinus, Roman, p.427.

(١٢٣) أليسو: محارب متمرس وماهر. Ammianus Marcellinus, Roman, p.427

(١٢٤) تشكيل السلحفاة: كان تشكيلًا عسكريًا كثيرًا ما استعمله جنود الفيالق الرومانية في معاركهم وخصوصًا أثناء الحصارات، تعود جذور التشكيل إلى اليونان القديمة حيث كان يسمي تشكيل Chelone . وقد تطور أكثر في عهد الإمبراطورية البيزنطية وحاز تسمية Foulkon. كان يقوم تشكيل السلحفاة علي فكرة أن يجتمع جميع الرجال في صف واحد ويمدون تروس السكوتوم المستطيلة الضخمة للأمام والأعلى لتحصين أنفسهم من جميع الجهات سواء من سهام الأعداء، أو حرابهم أو ضربات سيوفهم، كان يتولى الصف الأمامي من الجنود الحماية الأمامية، أما الصفوف الواقفة خلفهم فقد كانت تخضع التروس للأعلى للحماية من السهام والحراب، أما من في الصف الخلفي وعلى الجوانب فلم يكن يهم كيف يوجهون دروعهم. وفي بعض الحالات كانوا يوجهونها نحو الخارج للحماية الإضافية، مع ذلك كان هذا التشكيل يجعل حركة الجنود بطيئة وصعبة. انظر، www.yourdictionary.com

(125) Ammianus Marcellinus, Roman, p.427.
(126) Ammianus Marcellinus, Roman, p.427.
(127) Zosimus, History, p.66.

(١٢٨) كان القوط الغربيون يمثلون إشكالًا يفوق الفرس والألالماني في مجابهة الإمبراطورية الرومانية، ويرجع السبب لتهديدهم لحدود الدانوب، كما زاد خطرهم بسبب الدور الذي لعبوه في تدعيم ثورة بروكوبيوس. انظر، Heather,Peter J.,and John Matthews. The Goths in the Fourth century . vol.10. Liverpool Unoversity press, 1991, p.26.

(129) The Fragmentary classicising, p.90.
(130) Politics, Philosophy, p.77.

(131) Zosimus, History, p.66.

(١٣٢) سكيثيا أو شتيا أو ستيثيا: هي منطقة تاريخية سكنها السيكثيين من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد، تقع بين شرق أوروبا وآسيا الوسطي، موقعها ومساحتها تباينت على مر الزمان. السيكثيين أو الإصفوث هم شعب بدوي متنقل ينحدر من أصول إيرانية، لم يكن السيكثيين الحقيقيين سوي قبيلة واحدة من عدة قبائل في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطي، ولقد نزح السيكثيين من سهول أوراسيا إلي جنوب روسيا في القرن الثامن قبل الميلاد، واستقروا بالقرب من نهر الفولجا شمال البحر الأسود حيث كانوا على صلة بالمستعمرات الإغريقية حول البحر الأسود التي تعرف اليوم باسم " شبه جزيرة القرم " (في أوكرانيا حاليًا). تمكن السيكثيون من تأسيس إمبراطورية قوية استمرت لقرون عديدة قبل أن يخضعوا للسارماتيينبين القرنين الرابع قبل الميلاد والثاني الميلادي، وكان السيكثيين يثيرون إعجاب وخوف جيرانهم لخفة حركتهم وبسالتهم في الحروب والمعارك خصوصًا لمهارتهم بالفروسية حيث كانوا من أوائل الشعوب الذين تفننوا بركوب الخيل، بالإضافة إلى مهارتهم في علم الأدوية والسحر. للمزيد انظر، Sandin, P., Schthia or Elysium? The land of the hyperboreans in early Greek literature, in: Vision of North in pre-modern Europe, ed.D. Jorgensen and Langum.V,Classics, Arctic Anthropology, Bergen university, 2018, pp.14 – 33, p.17 – 18, 21, 24.

(133) Zosimus, History, p.66.

(١٣٤) أورميسداس: نجل الأمير الملكي السابق أورميسداس، وكان قد رقى إلي رتبة بروقنصل. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.631.

(١٣٥) فريجيا: قطاع كبير مهم في آسيا الصغري، اختلفت تخومها باختلاف الوقت والأوضاع، وبعد أن اقتطعت منها غلاطية أصبحت حدودها شمال بيثينية وشرقًا ليكأونية وغلاطية، وجنوبًا ليكية وبيسرية وايسورية، وغربًا كاديا وليديا وميسيا، والمنطقة عبارة عن سهل مرتفع بين سلسلة جبال طوروس جنوبًا وأوليمبوس شمالًا وتمنوس غربًا، ذكر من مدنها في العهد الجديد أربع هي لاودكية وكولوسي وهيرابوليس وأنطاكية بيسيدية، وفي هذه الفترة لم تبق فريجيا مقاطعة كما كانت بل أصبحت مجرد اسم محلي. انظر، www.st-takla.org

(١٣٦) زوجة أورميسداس: سيدة من عائلة عالية ذات ثروة كبيرة. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.428

(137) Ammianus Marcellinus, Roman, Voll.II, p.631.

(١٣٨) أربيتيو: جنرال مخضرم منذ عهد الإمبراطور قنسطنطين العظيم. انظر، Curran, Jovian, p.91

(139) Ammianus Marcellinus, Roman, Voll.II, p.631.

(140) Curran, Jovian, p.91.

(١٤١) وقد شبهه المؤرخ إميانوس بالإمبراطور الروماني " بيسكنيوس نيجر Pescennius Niger " (١٩٣ – ١٩٤م) عندما استدع في كثير من الأحيان الشعب الروماني لمساعدته بينما كان يتأخر لفترة طويلة في سوريا محاولًا السيطرة عليها، وفي النهاية فقد هُزم علي يد سيبتيموس سيفيروس في خليج أسوس (في قيليقية) وأعدم علي يد جندي عادي في إحدي ضواحي أنطاكية. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.428

(142) Ammianus Marcellinus, Roman, p.428

(143) Zosimus, History, p.91.

(١٤٤) اكتاح الألاماني أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية في نوفمبر عام ٣٦٥م، فأعد الإمبراطور فالنتينيان الأول لهم جيشًا بقيادة ذغالابيوس لمواجهتهم. لمزيد من التفاصيل انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.415 – 146; Christopher, K., Crossing the frontiers; Imperial power in the last book of Ammianus after Julian, The Regin of Valentinian and Valens, in books 26 – 31 of the Res Gestae, ed. Boet. J., Drivers, J. W., Hengst, D., and Teitler. H. C., Leiden, Boston. 2007, pp. 271 – 292, p.273.

(١٤٥) كان فالنتينيان بعد قرار ترقية إيكونيوس إلي رتبة قائد عام للجيش، قرر أن يوجهه نحو الليريكوم خشية أن يتوجه بروكوبيوس نحو بانونيا ويقوم بالفعل بغزوها، غير أن رفاقه المحيطين به نصحوه بتركيز كل الحامية في بعض المدن الغربية علي حدود بلاد الغال لمواجهة الألاماني. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.595; Christopher, Crossing, p.273.

(146) Ammianus Marcellinus, Roman, p.416.

(١٤٧) كان قائدًا عامًا للجيش في عهد الإمبراطور جوليان. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.211

(١٤٨) كانت تابعة سابقة لفريجيا، ثم أصبحت تابعة لغلاطية، وتقع علي الطريق الملكي القديم الذي يربط بين ساردس وعواصم بلاد فارس وسوزا وبرسيبوليس، تغطي تقريبًا الأناضول الحديثة على الجزء العلوي من نهر سانغاريوس. انظر، www.liviu.org

(١٤٩) جبل أوليمبوس: طوله حوالي ٢٩١٧متر، هو أعلى قمة جبلية في اليونان وهو جزء من كتلة أوليمبوس بالقرب من خليج ثيرمايكوس Thermaikos لبحر إيجة، ويقع على جانبي الحدود بين مقدونيا وتساليا. أعتقد الإغريق أن آلهتهم تعيش فوق هذا الجبل في منطقة تثاليا والذي كانت تحرسه ربات الفضول Horia، وفوق هذا الجبل يقع قصر كبير الألهة زيوس والذي كان تعقد فيه اجتماعات الآلهة بناء على دعوة زيوس، حيث كان مقرًا لزيوس بالإضافة إلي عدد آخر من الآلهة مثل، هيرا، أبوللو، أرتميس، آرس، هرمس، أثينا، بوسيدون، أفروديت. انظر، www.britannica.com

(١٥٠) ليكيا: تقع في المنطقةجنوب غرب آسيا الصغري، وتقع على الطريق البحري بين

إيطاليا والقسطنطينية، انظر، Foss. C. F. W., Lycia, ODB, p.1257- 1258.

(151) Ammianus Marcellinus, Roman, p.429.
(152) Ammianus Marcellinus, Roman, p.429.
(153) Ammianus Marcellinus, Roman, p.429.

(١٥٤) ثياتيرا: مدينة في آسيا الصغري في مقاطعة ليديا قرب حدود ميسيا. انظر، www.st-takla.org

(١٥٥) Zosimus, History, p.91.

(١٥٦) ناكوليا: كانت مدينة قديمة في فريجيا (سنجاري الحالية وهي منطقة إسكي شِهِر في منطقة وسط الأناضول في تركيا). انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.430

(157) Ammianus Marcellinus, Roman, p.430; Foss, C. F. W., Byzantine and Turkish sardis, Harvard University press, 1976, p.8.
(158) Ammianus Marcellinus, Roman, p.430.

(١٥٩) فلورنتيوس: كان قائد جيوش بروكوبيوس في نيقية. انظر، Curran, Jovian, p.91

(١٦٠) هذان القائدان كانا قد اكتسبا شهرة منذ عهد الإمبراطور قنسطنطين العظيم في الحروب الأهلية. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.430

(161) Ammianus Marcellinus, Roman, p.430.
(162) Ammianus Marcellinus, Roman, p.430.
(163) Curran, Jovian, p.91.

(١٦٤) كان مصير بروكوبيوس يشبه مصير بيربيننا العجوز Perpenna والذي بعد أن قُتل سيرنوريوس (جنرال روماني ورجل دولة قاد تمرد واسع النطاق ضد مجلس السناتو الروماني في شبه الجزيرة الأيبيرية وقتل في عام ٧٣ ق.م) في مأدبة، تمتع بالسلطة لفترة قصيرة ولكن تم سحبه من الغابة حيث تم إخفاؤه، ثم لم يلبث أن أحضر إلي بومبي حيث تم إعدامه هناك. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.430.

(165) Ammianus Marcellinus, Roman, p.430.

(١٦٦) سوزومين، الكنسي، ص٥١٠ ؛ Politics, Philosophy, p.146; Zonaras, history, p.182

(167) Ammianus Marcellinus, Roman, p.431; Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.639.
(168) Zosimus, History, p.67.

(١٦٩) سيرينيونوس: كان رجل ذو سلوك وقح ومزاج عنيف ومحب لإذاء الناس، وكان له تاثير كبير علي فالنز. وربما جاء ذلك بسبب تشابه تصرفاتهم سويًا، فهو يميل إلي القسوة وسفك الدماء للعديد من الأبرياء مثل فالنز. انظر، Ammianus Marcellinus, Roman, p.431.

(170) Ammianus Marcellinus, Roman, p.431.
(171) Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.641.
(172) Ammianus Marcellinus, Roman, Vol.II, p.641.

(١٧٣) فيليبوبوليس:مدينة تقع في شمال تراقيا علي الضفة اليمني لنهر هيبروس (ماريكا Marcia) انظر، Kazhdan, A., Philippopolis, ODB, p.1654.

(174) Ammianus Marcellinus, Roman, p.432.

(١٧٥) نقلت حجارة سور المدينة إلي القسطنطينية لاستخدامها في تشييد الحمامات العامة التي عرفت باسم قنسطنطينا، وقد تم العثور علي نص نبؤة مكتوبة علي حجر من أحجار هذا السور، تتنبأ بكل هذه الأحداث، وبأنه يجئ إمبراطور ويهدم أسوار خلقدونية ويستخدم أحجارها في بناء حمام في العاصمة. وكان نص هذه النبوؤة كالتالي: " عندما ترقص الحوريات بأقدامها المائية رقصتها السرية، فإنها ستطأ فخر الطرقات البيزنطية، وعندما ينقض الهياج سور المدينة تذهب حجارتها إلى الحمامات وسترسل الأراضي المتوحشة أسرابًا من الغارات متوجة بعقود ذهبية وأذرع لامعة، بمجاري من فضة أستير. وتخرب حقول اسكيثيا ومروج موسيا. ولكن عندما تنهزم تدخل تراقيا حيث يكون هناك مثواها ". كما استخدم فالنز أيضًا هذه الأحجار في بناء قناة مائية تجلب الماء إلي المدينة، عرفت باسم " قناة فالنز" وتقع بالقرب من صهريج أتيوس، وتقوم أيضًا بتغذية صهريج موكيس. انظر، سقراتيس، الكنسي، ص٤٤١ ؛ Zonaras, history, p.182; Porphyrogennetos, ceremonies, Vol.II, p.55.

(١٧٦) سقراتيس، الكنسي، ص ٤٤٠ – ٤٤١ ؛ Zonaras, history, p.182

(177) Ammianus Marcellinus, Roman, p.432.
(178) Ammianus Marcellinus, Roman, p.432.
(179) Ammianus Marcellinus, Roman, p.432.
(180) Ammianus Marcellinus, Roman, p.433.
(181) Ammianus Marcellinus, Roman, p.433.
(182) Ammianus Marcellinus, Roman, p.433.
(183) Zosimus, History, p.97 - 98.
(184) The Fragmentary classicising, p.53.
(185) Zosimus, History, p.68.

(١٨٦) أوكسينيوس: عين كمسئولًا عن البلاط الإمبراطوري. انظر، Zosimus, History, p.68

(١٨٧) Zosimus, History, p.68.

(١٨٨) ماركينوبوليس: أكبر مدينة في تراقيا. Zosimus, History, p.68.

(189) Zosimus, History, p.68.
(190) Zosimus, History, p.68.
(191) Ammianus Marcellinus, Roman, p.422, 583.
(192) Heather,Peter J.,and John Matthews. The Goths in the Fourth century . vol.10, p.18.
(193) Curran, Jovian, p.94; Heather, P., Gothes and Huns, C.320 – 424, Cambridge Ancient history, Vol. XIII, The last empire, A.D. 337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.487 – 515, p.489.

# قائمة المصادر والمراجع

## أولًا : المصادر الأجنبية

**Ammianus Marcellinus,** The Roman history, The emperors Constantius, Julian, Jovianus, Valentinian, and Valens, trans. Yonge. C.D., London, 1894.

**Ammianus Marcellinus,** The Roman history, Vol. II, trans. Rolfe. J. C., Harvard University press, Cambridge, Massachusetts, London, 2000.

**Asoure,** Book of Madevial history, ed. Ogg. F. A., London, 1907.

**Constantine Porphyrogennetos,** The book of ceremonies, Vol. I, trans. Moffatt, A., and Tall, M., Bonn, 1829.

**Egeria,** The Pilgrimage of S. Silvia of Aquitania to the Holy Places, (circ. 385 A.D.) Trans., Bernard, J. H., London, 1896.

Heather,Peter J.,and John Matthews. The Goths in the Fourth century . vol.10. Liverpool Unoversity press, 1991

**Hilary of Poitiers, John of Damascus**, ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Father, Edinburg, 1898.

**History of the Christian church**, Vol.III, ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Christianiry, A.D. 311-600, New York, 1989**.**

**John Malalas,** The Chronicle of John Malalas, translated by, Jeffreys, E., Jeffreys, M., and Scott, R., Australian Association for Byzantine Studies, BYZA 4, Melbourne, 1986

**John of Fordun,** Chronicle of the Scottish nation, the historians of Scotland, Vol. IV, trans. Fellx. J. H., Skene Edinburgh Edmonston and Douglas, 1872.

**Jordanes,** The Origin and deeds of the goths, trans., Mierow, C. C., princeton University, New jersey, 1908.

**Politics,** Philosophy and empire in the Fourth century select orations of Themistius, trans, Heater, P., and Moncur, D., Liverpool University press, 2001.

**Scott, Roger. Blockley Ed. The Fragmentary classicising historians of the later roman empire; Eunapius,Olympiodorus,Priscus and Malchus.2.Text,** translation and historiographical Notes.Liverpool; F. Cairns, 1983.

**Theophanes Confessor,** The Chronicle of Theophanes Confessor (Byzantine and Near Eastern History – AD 248-813), translated by, Mango, C., and Scott, R., with Greatrex, G., Oxford, 1997.

**Zonaras,** The history of Zonaras, trans, Bancbieb, T. M., and Lan, E. N., London, New York, 2009.

**Zosimus,** The History of Count Zosimus, sometime advocate and Chancellor of the Roman Empire, translated by, G.J.Vossius, Green and Chaplin, London, 1814.

## ثانيًا : المصادر العربية والمعربة

**سُقراتيس سكولاستيكوس:** التاريخ الكنسي، ترجمة إيه. سي. زينوس، تعريب الأب بولا ساويرس، مراجعة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير الأنبا مقار) سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ط.١، ٢٠١٧م.

**سوزومين:** التاريخ الكنسي، ترجمة تشستر هارترانفت، تعريب الأب بولا ساويرس، مراجعة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير الأنبا مقار)، سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ط.١، ٢٠١٧م.

**مجموعة الشرع الكنسي:** جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنانيا الياس كساب، دار منشورات النور، ط.٢، بيروت ١٩٩٨م.

## ثالثًا : المراجع الأجنبية

**Alexander, P. J.,** Byzantine Apocolyptic, Berkeley, Los Angeles and Calfornia, 1985.

**Bury, J.** B., The Imperial Administrative system in the Ninth century, London, 1911.

**Christopher, K.,** Crossing the frontiers; Imperial power in the last book of Ammianus after Julian, The Regin of Valentinian and Valens, in books 26 – 31 of the Res Gestae, ed. Boet. J., Drivers, J. W., Hengst, D., and Teitler. H. C., Leiden, Boston. 2007, pp. 271 – 292.

**Curran, J.,** From Jovian to Theodosius, Cambridge ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.78 – 110.

**Foss. C. F. W.,** Byzantine and Turkish sardis, Harvard University press, 1976.

**Gregory, T.E**., Prokopios, ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University press, 1991.

**Heather, P.,** Gothes and Huns, C.320 – 424, Cambridge Ancient history, Vol. XIII, The last empire, A.D. 337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.487 – 515.

**Hunt, D.,** Julian**,** Cambridge Ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., and Garnsey, P., Cambridge University press, 2008, pp.44:77.

**Kazhdan, A.,** Dacia, ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University Press, 1991.

**Kelly, C.,** Emperors, governmen and bureaucracy, Cambridge ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.138 – 183.

**Lee, A. D.,** The army, Cambridge ancient history, Vol. XIII, the late empire, A.D.337 – 425, ed. Cameron, A., Garnsey, P., Cambridge University press, 1998, pp.211 – 237.

Lycia, ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University press, 1991.

**Millor, F.,** Rome the Greek world and the east, Vol. 2, North Carolina University press, 2004.

**Morgan, G.,** Byzantium, Capital of ancient empire, Bocket essentials, 2007.

**Orton, C.W.,** The shorter, Cambridge University press, 1952.

Philippopolis, ODB, ed. Alice and Mary, 3Vols, Oxford University Press, 1991.

**Pritsak, O.,** Illyricum, ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University press, 1991.

Ruling the later roman empire, Harvard University press, p.2004.

**Sandin, P.**, Schthia or Elysium? The land of the hyperboreans in early Greek literature, in: Vision of North in pre-modern Europe, ed. Jorgensen and Langum, V., Classics,Arctic Anthropoy,Bergen University, 2018, pp.14 – 33

**Treadgold, W.,** A history of the Byzantine state and society, Stanford, California, 1997.

Valens, ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University press, 1991.

Valentinian, the ODB, ed. Alice and Mary, Oxford University press,

1991.

**Venning, T.,** A chronology of The Byzantine Empire, Palgrave Macmillan, Great Britain, 2006.

x **Lenski, N.,** The Chronology of Valens Dealings with Persia and Armenia, 364-378 C.E, in, Ammianus after Julian, The Regin of Valentinian and Valens, in books 26 – 31 of the Res Gestae, ed. Boet. J., Drivers, J. W., Hengst, D., and Teitler. H. C., Leiden, Boston. 2007, pp. 95 – 128.

## رابعاً : المراجع العربية

**د. ياسر مصطفى عبد الوهاب، ثورة بوكوبيوس فى القسطنطينية ٣٦٥-٣٦٦ وأثارها على مصر،حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، كلية الاداب جامعة عين شمس، المجلد العاشر ٢٠١٥-٢٠١٦، ص٣٥٥-٣٧٥**

## خامساً: المواقع الإلكترونية

www.britannica.org
www.cambridge.org
www.ironicaonline.org
www.livius.org
www.lukeuedasarson.com
www.newadvent.org
www.perseus.tufts.edu
www.st-takla.org
www.whc.unisco.org
www.yourdictionary.com